مدينة الموتى

رواية

مؤسسة فكرة للنشر والإعلام

الجيزة396- ش فيصل محطة مدكور

تليفون :+20237835504/ +201203020181

البريد الالكتروني: ideayemen2015@gmail.com

رقم الإيداع :

الرقم الدولي:

الطبعة الاولى

فكرة

مدينة الموتى

رواية

رستم عبد الله

الطبعة الأولى

٢٠١٦

إهداء

إلى المدينـــة الأســـطورية التـــي تنبـــت قبـــور شـــهدائها بـــذوراً تزهـــر وطنـــاً مترعـــاً بالمحبـــة والتســـامح والوئـــام، إلى الحالمـــة التـــي أغرقتنـــي بـــوهم أن عالمنـــا مليئًـــا بقـــيم الســـلام، إلى زهـــرة المـــدائن ونـــبراس التحضر، إلى الأبيّـــة، الكريمة، الساحرة، موئل الثقافة، وخزانة الحكايات :

(تعـز الجـريـحة)

كلمة شكر

للأستاذ القدير وصديقي العزيز محمد الغربي عمران.

للروائي والمسرحي اليمني القدير أ. منير طلال.

الأستاذة : شروق الأصبحي.

الأستاذة سماح عملاق.

لكم تعجز الكلمات شكراً، وتنحني أحرفها تقديراً، وتصاغ معانيها احتراماً، لما قدمتم لي من مدّ يد العون، فلكم مني جزيل الشكر والتقدير.

هذه الرواية عمل أدبي وعليه فإن الأسماء والشخصيات من وحي الخيال وأي تشابه أو أسماء تاريخية فقد تم استخدامها في أطار خيالي

صحراء بيحان

٥يونيو١٩٥٠م سطعت الشمس بقوة فوق صحراء بيحان الواقعة شمال شرق عدن على بعد٣٠٠كم وتحديداً في منطقة هجر كحلان ونشرت خيوطها الذهبية فوق رمالها الصفراء الناعمة واختلط الأفق بوهج الشمس وتباشير الصباح الباكر والباردة، في حين انهمك فريق الآثار بالتنقيب داخل خربة يعتقد أنها مبنى مترامي الأطراف طمرته رمال الصحراء حين صاح بفرح أحد عمال بعثة الآثار بقشيش بقشيش هنا فتحة تتسرب الرمال إلى داخلها وتتدفق للأسفل، لابد أنه سرداب أو بئر سلم يؤدي للأسفل، نادوا لرئيس البعثة المستر وينـدل فيلبس ذلك الشاب الأمريكي الطموح المهووس بالبحث والتنقيب عن الآثار واكتشاف أسرار العالم القديم والعاشق لملكة سبأ بلقيس والمفتون بحنكتها وحضارتها والذي أسس البعثة الإنسانية الأمريكية للتنقيب عن الآثار والتي عملت في اليمن مدة عامين في صحراء مأرب وبيحان وتمكنت من اكتشاف العديد من الكشوف الأثرية

الهامة للحضارة اليمنية كالحضارة القتبانية التي نشئت في سفح وادي بيحان وعاصمتها تمنع والحضارة السبئية الشهيرة التي ذكرت بالقرآن وعاصمتها صرواح ويعتبر صاحب أهم اكتشاف إنساني يمني وهو محرم بلقيس ومعبد القمر إل مقه- والذي أول ما رأي الفجوة حتى تهللت أساريره وبرقت عيناه في جذل وجر نفساً عميقاً من غليونه وهو يشير به للعامل البدوي الأسمر من أبناء المنطقة الذي اكتشف السرداب الأثري بقشيش بقشيش وهو يهز رأسه مبتسماً تشجيعاً للعامل ثم ربت بكفه اليمنى على رئيس العمال المصري أحمد مُحَمَّد علي الذي كان يقف عن يساره والذي له خبرة طويلة بأعمال الحفر اكتسبها من عمله مع البعثات الأجنبية المتعاقبة التي حضرت للتنقيب في مصر عن الحضارة الفرعونية وعمل معها في الجيزة وسيناء والكرنك حتى غدا خبيراً ينافس علماء الآثار وبإمكانه فقط بفحص الخربات والأماكن الأثرية وتحديد أي مكان يمكن أن يبدأ فيه بالحفر، كانت البعثة الأثرية من القوة والضخامة مجهزة تجهيزاً جيداً ومكونة من أفضل الخبراء وعلماء الآثار والأحياء وأطباء ورسامين ومترجمين وطباعين على الآلة الطابعة وكتاب ومهندسين وكهربائيين وسائقي سيارات ومهندسي مكن وعمال حفر ماهرون مدربون جيداً على أعمال

الحفر والمحافظة على كل ما يكتشفوه دون إصابته بخدش واحد والذين تم السفر خصيصاً لمصر واستقدامهم للعمل معه بالإضافة إلى مائة عامل يمني من البدو أستقدمهم من قبيلة الشيخ عواد شيخ بيحان الكريم والمثقف والشجاع وكانت مع البعثة عدد من السيارات والشاحنات ماركة شركة "دودج" الأمريكية التي كانت راعية للمغامرة ومولدات كهرباء ماركة جنرال اليكترك بقوة1500 كيلو وات وثلاجات لحفظ الطعام وأسلاك كهربائية ومذياع وآسرة وجمال وخيول وأثوار ضخمة لجرف الرمل ومسدسات ورشاشات آلية وطلقات رصاص... الخ أعطى ويندل تعليماته للمشرف المصري بالية البحث وإزاحة الرمال لمنطقة بعيدة حتى لا تسد الفتحة وبنفس الوقت منطقة لا يحتاجون للتنقيب فيها ومستبعدة من خطة التنقيب حتى لا يزيدوا من أعباء الحفر إذا قرروا التنقيب فيها وبدوره أصدر المشرف المصري توجيهاته لمساعده الصومالي جمعة بأن يجهزوا السلال والمجاريف ويباشروا بإزاحة الرمل المحيط بالفجوة ومنعه من التدفق للأسفل وسد السرداب الأثري أخيرا بعد أن أعي البعثة الأمريكية الإنسانية تحديد مكان مدينة تمنع عاصمة دولة قتبان ها هو يفك لغز صحراء بيحان وكنوز دولة قتبان لم يكتفي ويندل بما أملاه

رئيس العمال المصري أحمد مُحَّد علي فاقترب من جمعه وهو يحدثه بالإنجليزية شارحاً مرة أخرى للصومالي الذي كان مدرباً على ما ينبغي عمله وطريقة الحفر المثالية حتى لا يطمسوا أية رسوم أو نقوش مسنديه قد تظهر أثناء الحفر وقد تمكن الزهو منه وبدأ..قلبه ينبض بفرح بذلك الفتح الأثري الذي حققه لدرجة أنه يخاف كل الخوف أن تتلف القطع والألواح المطمورة منذ آلاف السنين في بطن الصحراء هاهو قد قضي قرابة العام يهيم في صحراء بيحان، استمرت عملية الحفر وإزاحة ونقل الرمل قرابة الثلاث ساعات متواصلة حتى قرب الظهيرة وبالأخير ظهر ذلك السلم الرخامي الأبيض الضيق والناصع البياض وهو يمتد للأسفل بشكل لولبي حلزوني والمكون من30 درجة بالتمام والكمال وكانت درجاته عليها بعض النقوش لشكل بيضاوي أشبه بالقمر تم تشغيل المولدات الكهربائية ومد الأسلاك التي تنتهي بمصابيح قوية وذهب أحد العمال لاستدعاء البروفسور البرايت خبير اللغة القديمة الذي كان منهمكاً في السكن لتجهيز قوالب العجائن التي يستخدمها لطبع النقوش، والطبيب ماك نيش الذي كان يقدم الخدمات الطبية بالمستشفى الميداني الذي أقامته البعثة وكاد السكان يفتكون بالرسول عندما اعتذر الطبيب وأخذا حقيبته

ونبه على الحراس بصرف المواطنين الذين قدموا لتلقي العلاج من كافة أنحاء المنطقة، وتم اصطحاب عدد من الحرس المسلحين بالبنادق تحسبا لوجود زواحف وثعابين سامة ولأي أمر طارئ قد يحدث كانت السلالم مصنوعة من الجرانيت الأبيض وذرت فيها الرمال التي تصعب عملية المشي وتجعل النازل معرض للانزلاق بأي لحظة وكانت تنتهي إلى ردهة فسيحة ومظلمة شديدة العتمة جيداً ذات أحجار قطعت من الصخر والجدران مغطاة بنوع من الألوان وكذلك أرضها والممشى المؤدي لها مرصوف بحجارة بيضاء يغطيها الرمل فسيحة ومازال هناك توجد أجزاء من الرمل الذي يتدفق عبر السنين وبفعل الأمطار وعمليات الحفر يغمر أجزاء واسعة من الردهة الفسيحة ولهول الجميع ودهشتهم كان المكان على تواجده بالأسفل في غاية الجمال والروعة وكأنه بني من مدة قريبة وعمره مائة عام أو يقل وليس ثلاثة ألف سنة التفت فيلبس للحارسين منبهاً عليهم أن يعيدا البنادق ويتزودا بهراوات غليظة وطويلة حيث الرصاص ربما يؤدي إلى تشرخات في جدران المدينة وانهيارات وقد يتلف تلك الآثار الثمينة التي لا تقدر بثمن كانت المجموعة التي نزلت للغرفة الأثرية تتألف من عشرين فرداً بما فيهم فيلبس ومعاونيه والحراس والحفارين وثلاثة مهندسين

والبرايت والطبيب بددت المصابيح العتمة تماماً وبدأت عيونهم تألف المكان وسطع نورها بكثافة لاحظوا وجود عدد من الغرف تقدر بتسع توجه الموكب نحو إحداها كانت مظلمة ويسد بابها رمل حتى المنتصف تخطوه للداخل صدرت فرحة عن الجميع عندما وجدوا عدد من الصناديق الخشبية وأواني فخارية بحالة سليمة وسرير خشبي مشدود بأليف بدت متهرئة وبالية وتمثال برونزي أسود منكفئ على وجهه طمر الرمل أجزاء واسعة منه أقترب فيلبس من صندوق أسود كبير حاول إزاحته للأعلى وتمكن من فتحه، ولمعت عيناه بذلك البريق الذي ينم عن سعادة غامرة وانبهار لا حدود لهما،كانت تستقر بقعره بعض الملابس وخنجران فضيان وصرة حسها بيده ثم أغلق الصندوق وتوجه للآخر وقبل أن يفتحه حدث ما جعله يتسمر في مكانه ويلتفت للخلف إلى تلك الشهقة المكتومة التي سمعها خلفه وذلك الصوت المخنوق والأنفاس المتسارعة التي انتهت بحشرجة قوية ومخيفة جعلت المكان مخيفاً وكئيباً وشعر وينـدل ينتصب ونبضات قلبه تخفق بقوة حتى خيل له أن صداها تردد في السرداب الأثري.

لص المقبرة

١٠آب٢٠١٠م كانت ليلة دامسة، أخذ المطر يتساقط في تلك الليلة بغزارة وهزيم الرعد يقصف بقوة والبرق يلمع على جبال القرية وصخورها الضخمة، ظل عبيد لص المقابر الشهير يتأمل المنظر من غرفة المفرج بأعلى الدار وتناول سيجارة بعصبية وأشعلها بتوتر وهو يزفر دخانها في ضيق واستعجال وكان بين لحظة وأخرى يتطلع في ساعته السويسرية الصليب الفضية القديمة ماركة بريما ذات الميناء والعقارب الفسفورية المضيئة كانت الساعة تشير إلى تمام الثانية بعد منتصف الليل ساعتان ونصف ويطلع الفجر ويبدأ الناس في الصحيان والانسلال من منازلهم والتوجه إلى المسجد لأداء صلاة الفجر بمسجد القرية اليتيم والوحيد حيث ينتصب تماماً وسط مقبرة القرية وتحيط به القبور من كل جانب عدا طريق ضيق وطويل شق وسط القبور ويمتد حتى باب المسجد حيث كان يمارس نشاطه في تلك المقبرة لصاً لأكفان الموتى الحديثي الوفاة ومن يصادف موته من الموتى ولديه فك أسنان به أسنان ذهبية يقوم بقلعها بكماشته الحمراء القوية والصلبة والتي لا يخلو جيبه منها إطلاقاً وكأنه مهندس كهرباء لا نباش قبور فينزع الناب الذهبية التي يصادفها بكل عنف وإجرام وسفالة دون أي اعتبار لحرمة الميت في القبر

ويقوم بعد الانتهاء من سرقة صاحب القبر المتوفى بإعادة القبر كما كان وإلى جانب الكماشة يحتفظ بشنطة خضراء صغيرة نوعا ما تلتف حول وسطه بها عدة الشغل الإجرامي حيث تحتوي على مشرط وحجر بطارية جديد ولمبات مصباح يدوي قطع غيار إذا حرقت لمبة المصباح وفصوص من الثوم وإبرة تسمم يأخذها إذا فاجئه ثعبان أو عقرب سام حيث يكثر تواجدها بين أشجار وأعشاب المقبرة الكثيفة ربما تختبي بينها ويعود سبب كثرة تلك الأعشاب والأشجار وانتشارها إلى الأهالي الذين يزرعونها فوق قبور موتاهم ويتعهدونها بالري كل فترة حيث الاعتقاد السائد أنها صدقة جارية لروح موتاهم طالما ظلت مخضرة وتنبض بالحياة حتى غدت المقبرة غابة من الأعشاب والأشجار تتداخل فيها شواهد القبور والأضرحة بالخضرة في منظر بديع وخلاب وكان أكثر النباتات المزروعة فوق قبور الموتى نبات العلفق(١)* وبعض الورود والمشاقر والرياحين، توقف المطر عن الهطول وغمرت السعادة قلب عبيد وتنفس الصعداء، لف معوزه حول وسطه جيداً وتمنطق ببحقيبته الجلدية الخضراء وشد عمامته جيداً، صعد سطح الدار وألقى نظرة فاحصة على المقبرة ومحيطها وأصاغ السمع جيداً.

---

(1) العلفق نوع من أنواع النباتات البرية له أوراق خضراء دائرية وغليظة تطهى بماء حار فقط وتأكل مع البسباس (الفلفل الحار)واللبن تتميز بطعم حامض تفيد في علاج الحمى والملاريا

حيث تقع أسفل داره وتبعد عنها مسافة ٢٠٠ متراً تقريباً وأنسل بخفة كسحلية تتأهب للانقضاض على حشرة وخرج من الدار وأرجع باب الدار الأسود المهيب رافعاً إياه من أسفله بكلتا يديه بهدوء محاولاً عدم إصدار صوت، سلك طريقاً غير مألوف ميمماً شطره نحو المقبرة، أقترب من المقبرة أكثر كان المكان موحشاً ومخيفاً وبدت تلك الرموس القديمة والحديثة بشواهدها المنتصبة أشبه بالأشباح لم يدري عبيد وهو الممارس لهذا العمل القبيح والمشين منذ نعومة أظافره، لم يشعر بهذا الخوف والانقباض الذي يغزو قلبه لأول مرة فقد نبش عشرات القبور بحياته وأستخرج عشرات الجثث وعاث فيها وأقلق نومتها الأبدية وعبث فيها وباع عدد من العظام والجماجم لطلاب الطب وأطباء ماذا حصل له اليوم ؟! ما سر هذا التوتر والقلق الخفي الذي يعربد في صدره؟ أخذ يتلفت حوله بريبة وتوجس وخوف ونبضات قلبه تتسارع وتزداد وتدق بعنف

صاحب الحصن

٢٥سبتمبر١٩٦٠م قبل خمسين عاماً توفي الحاج سعيد أثرى أثرياء قرية الحاج تلك القرية المعلقة في سفح الجبل الباسق والتي يظل المرء مستفسراً ما الذي حدى بأبنائها أن يستوطنوها في أعالي تلك الجبال الباسقة ترى هل كانوا يفرون من عدو يتعقبهم أم يعشقون القمم أم أن جدهم الأول والمؤسس لها هارب من ثأر ووجد في تلك الجبال ملاذاً آمناً يختفي فيه ويتوارى عن الأنظار هو وأسرته كان الحاج سعيد يقطن في ذلك الحصن الأثري القديم الذي يتصدر أعلى قمة الجبل والذي رممه وزاد في تحصيناته وأدخل عليه بعض التحسينات رغم جمالها إلا أنها قد أفسدت عبق التاريخ ومكانة الحصن الأثرية، والذي يقال إنه يعود للدولة الحميرية حيث تم العثور في أحد مدافنه وسراديبه السرية على أواني فخارية وخناجر وسيوف ومومياءات بشرية وألواح حجرية عليها نقوش بخط المسند يعود لفترة حكم كليب يهأمن محرج عامل شمر يهحمد بذي معافر وأجناد الأشاعر وجماعات الكلاع وإن لصوص أخذوها إلى عدن وباعوها هناك للتاجر الهندي الثري المستر كيكي منشرجي اللص الهندي ومهرب الآثار اليمنية الشهير والذي يشتري الآثار اليمنية التي لا تقدر بقيمة بثمن بخس مقارنة بقيمتها الأثرية والتي يتوهمها المواطنون السذج المعدمين مبلغاً كبيراً نظراً للحالة الاقتصادية الصعبة

والفقر المدقع الذي كان يمر به أبناء اليمن وهم يضحكون أنهم قد خدعوا البينيان الحمقى والمغفلين كما اعتادوا أن يطلقوا عليهم وباعوهم جثث رميم وقطع بالية وحجارة صماء وخردة حديد بمبلغ ضخم من النقود حسب ظنهم وكان طرف بالصفقة أحد العمال من أبناء القرية في متاجر الهنود في شارع الزعفران بكريتر – كان سبب وفاة الحاج سعيد حمي حامية وصلت للدماغ وأدت لوفاة ذلك القبطان البحار الذي طاف كل موانى العالم ومرافئها وتنقل بكل البلدان وجمع ثروة هائلة من الأموال ورغم بلوغه سن الخمسين حين وفاته إلا أنه لم يتزوج قط بعد وفاة زوجته كان قصير القامة أبيض ناعم حليق الذقن والشارب دائما متفخل الثياب يدخن غيلوناً انجليزيا فاخراً وخط الشيب فودي رأسه تبدو عليه سيمة الوقار والهيبة، يرتدي دوما البنطال الانجليزي ذو الحمالات الذي يشبكه لخلف الظهر على شكل حرفX بخطاطيف يثبتها جيدا بفتحة بنطاله العلوية ويلبس قمصان إنجليزية وفرنسية غالية كان رغم ثرائه الفاحش كريماً وعطوفا على أبناء القرية وأرسل الكثيرين للعمل بعدن لدى معاريفه من التجار الانجليز والفرنسيين والهنود والعدنيين والأعروق توفي سعيد الذي يعد آخر سلالة آل مبرز الذين اشتهروا بالجمالة والأسفار والعمل في السفن في أعالي البحار واحتكروا مهنة الطبل*(١) ردحاً من الزمن قبل أن يرحلوا الواحد تلوا الآخر بسبب المرض وكبر السن ويتركوا تلك المهنة العريقة شاغرة بعد وفات روادها، رحل الحاج سعيد وترك في القرية فجوة لا تسد وفي قلوب أبنائها البسطاء جرح لا يندمل ولنوارس البحر

التي الفته وألفها حنين لا يتوقف وللطيور نوح مستمر يثير الأشجان كان أول من عرف بموته ورحيله تلك الطيور التي كان يتعهدها صباح كل يوم في سطح الحصن بالماء والحب عندما استفاقت ذلك اليوم الحزين ولم تجد الحبوب ولا الماء، وظلت تنوح وتغرد بأصوات حزينة مدة ثلاثة أيام ورحلت ولم تعد بعدها إلى الحصن إطلاقا وكأنها استوحشت المكان وشعرت بغصة في حواصلها برحيل صديقها الحنون صاحب القلب النقي الصافي المليء بالخير كالسنابل الممتلئة التي كان يذرها لها كل صباح، توفي تاركاً ذلك الحصن بكل ألغازه وغموضه وغرفه العديدة ودهاليزه ومدافنه ومتاهاته وقبل أن تنتهي مراسيم الدفن وصلاة الجنازة كان عكفة الإمام الذين يشمون أخبار موت الكلالة كما يشمون السمن والقشطة في دور القرية ويسلبونها المواطنين أخذوا كل شيء وأغلقوا الحصن، والذي ضموه ضمن أملاك وعقارات مولاهم الإمام أحمد وأعطوا عدد من ريالات البقش لفقيه القرية يوزعها على فقراء القرية والتي كانت أساساً بكل قاطنيها تعاني العوز والفقر، تم دفن القبطان سعيد بمقبرة الحاج مُحَمَّد في القرية بقبر متواضع يتنافى مع ثرائه الفاحش حيث هناك يتساوى الكل ولا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح كان الحاج سعيد في تلك الليلة الحزينة والكئيبة التي جثم فيها الحزن على القرية وخيم الوجوم

---

* (١) الطبل ساعي البريد الذي كان ينقل قديماً الرسائل والأموال والأشياء من القرية إلى المدينة والعكس

هدفاً للصوص المقابر لاسيما النباش جحبور، وحصل ما توقعه الأهالي وجدوا في اليوم التالي القبر وقد عبثت أيادي به ورأو هناك آثار نبش واضحة فقاموا بإصلاحه كما كان وتوجه شيخ القرية حمود وثلة من الأهالي إلى منزل اللص جحبور، أجابتهم زوجته وهي تبكي إنه أختفي هو وولدها مهيوب منذ ليلة الأمس ولم يعودا للآن حيث قالا لها أنه لديهم عمل هام سيقضيانه في القرية المجاورة وسيعودان سريعاً، لم تفلح محاولات كل سكان القرية بالبحث، في العثور على جحبور وولده مهيوب بحثوا في التباب والتلال المجاورة في قمة الجبل والوادي بين القبور في القرى المجاورة في الكهوف والمغارات الصخرية في الهوات السحيقة التي تحيط بالقرية في آبار المياه وسدودها وبركها ولم يعثرا لهما على أثر كأنهما فصا ملح وذابا في الماء مرت سنين عديدة وظل لغز الاختفاء الغامض لجحبور وابنه يحير الكثيرين وإن كان بعض السكان قد خرج بنظريات شتي لكنها لم تشبع رغبة الناس وفضولهم وظلوا يلوكون الحادثة في مجالسهم وكلما اجتمعوا أو رأو جنازة حيث تذكرهم بالأفعال الدنيئة لجحبور بنبش القبور الذي كان يوقنون بشغلته بنبش القبور دون أن يتمكنوا من إدانته وإن كانوا حزانى لأجل امرأته ومصيره الغامض إلا أن هذا لم يمنع تلك الراحة الغريبة التي سرت في نفوسهم باختفائه والتشفي منه، وعزو ذلك لانتقام عدالة السماء منه لانتهاكه حرمة الموتى وانتشرت شائعة في القرية أن البده هي من سحرت جحبور وابنه وأخذتهم معها إلى تهامة ثم لم يلبث أن سرت في أقل من أسبوع إشاعة أخرى أن الجبرت هم من

اختطفوهما ليعاقبوهم على فعالهم الدنيئة وقد أخذوهم كعبيد لديهم لكن الشائعة الأقوى التي ترددت حينها وظلت أفواه الناس تمضغها لسنوات وحتى وقتنا الحاضر، إنه بينما جحبور وولده منهمكان بنبش قبر الحاج سعيد لانتزاع تلك السنون الذهبية من فكه واللذان كان برجهما الحَمَل (١)* وفي غمرة نشوتهم وانهماكهم عاد الحمل من رحلة صيده ليفاجئ بوجود جحبور وولده يعبثون في طعامه فجن جنونه وغضب وفقد صوابه فما كان منه إلا أن شفط الجثة من القبر وأردفها فوق ظهره وأصيب النباش وولده بالإغماء من هول الموقف، فقام الحَمَل الذي ظن أنهما أيضا ميتين وحملهما مع الجثة حيث كان غاضبا، جداً من فعلتهم وكان بمثابة الانتقام مما اقترفاه بحق صيده وفريسته وهناك من قام بتعديل طفيف على الرواية قال لم يغمى عليهما بل هو من أجهز عليهم وأخذهم معه ومضى وهذا يفسر الاختفاء الغامض لهما

---

*(١)الحَمَل بفتح الحاء والميم أسطورة يمنية قديمة من الذاكرة الشعبية تتداول بشكل كبير بمعظم المناطق اليمنية لاسيما في الريف تتحدث عن كائن حي حيوان خرافي عبارة عن مسخ بشري كثيف الشعر لا يخرج إلا ليلاً ويظهر ليلة وفاة من يصادف برجهم الحَمَل ويتميز بسرعته الشديدة وقدراته المذهلة على التخفي والقفز لمسافات عالية وتسلق الأشجار ولديه منخارين كبيرين واسعين وقويين يستطيع بهما شفط جثة المتوفى من القبر وانتزاعه من بين التراب والصخور التي تظلله ويحمله على ظهره ويمضي به إلى كهفه المجهول لذا يظل الأهالي يحرسون ميتهم في الأسبوع الأول للمتوفى خوفاً من أن يأتي الحَمَل لأخذ جثته وحتى وقت قريب ظلت بعض المناطق القروية اليمنية تحرس موتاها وانحسرت هذه المعتقدات واندثرت مع التطور وانتشار الكهرباء والطرقات والسيارات والتنمية التي شهدتها تلك القرى وإنتشار الوعي والتعليم

القبة البيضاء

طوال حياته الشقية التي امتدت لقرابة أربع عقود لم يشعر عبيد بمثل هذا الخوف والفزع الذي يعتريه ويكاد يمزق أوصاله خَطَر من جانب رمس قديم يعود لسبعين سنة مضت أو يزيد تجاوزه مشي بين عدد من الأعشاب الكثيفة الخضراء الناضرة التي بدت وكأنها سوداء ولا يبدو ما يوحي بخضرتها من شدة السواد المحيط بالمقبرة وعتمة الليل كان العرق يتساقط غزيرا من عبيد رغم برودة الجو وجماله بعد تلك الأمطار الغزيرة المنعشة التي عبقت الجو بعطر المطر وذلك الجو البديع الذي تتركه بعد أن تتوقف الأمطار وتجاوز غصناً أعترض طريقه كسره وألقى به بعيدا تجاوز أعداد أخرى من الأعشاب الكثيفة المتكورة على نفسها ليصل إلى قبة بيضاء مبنية من الياجور والطوب ومطلية بالنورة ويحيط بها فناء حجري أنيق وبسيط وتجاورها دوحة ضخمة وارفة الظلال تلك الشجرة الغريبة العجيبة التي لا أحد يعرف نوعها وعمرها ويطلق عليها الأهالي شجرة الحاج مُحَمَّد ذلك الولي الصالح الذي يقال أنه كانت له كرامات وعادات خارقة ولا يعرف أحد متى عاش وفي أي زمن وجد وكل ما يعرفونه عنه تلك القصص التي يتناقلونها أب عن جد وكابرا عن كابر، أحس ببعض الاطمئنان وهو يخطو نحو سور القبة افترش الأرض واستند

بظهره المتعرق فزعاً على الضريح أرخى رأسه وسرح بخياله إلى ثلاثين سنة مضت حين كان لايزال بالعاشرة من عمره وأخذ يتذكر عندما كان يحضر بعد صلاة عصر كل يوم وبعد انصراف المصلين من المسجد المجاور لمقبرة مسجد الحاج مُحَمَّد صاحب القبة والمقبرة وكيف كان يلم كل ما يدسه الناس في تلك التجاويف الثمانية التي تحيط بالقبة من كل نواحيها وإخراج كل ما تقربوا به إلى الولي الصالح من تمر وأرز وطماطم وشمع وبخور ومكانس ومغارف وعقد كهرمان وكان يحشرهم في شواله المتسخ الصغير أو بالأحرى بقايا الشوال الذي جلبه من الوادي ويقفل عائداً للبيت ويعطي تلك الأشياء لأمه الفقيرة والتي تفرح بها كثيراً وكم كان يسعد لسعادتها ويحس بالارتياح والرضى عن مهنته تلك وكان دائماً يتعلل لها أنها صدقة من امرأة قابلته بالوادي ودائما تعطف عليه وتخبره ألا يخبر أحداً حيث لا يجوز الإخبار عن الصدقة ليتضاعف الأجر وتنال القبول ولم يكن فَرح أولئك الواهبون الذين يمرون باليوم التالي للاطمئنان على قبول نذرهم أقل من فرح أم عبيد عندما يجدون ما قدموه قد اختفى، وتتهلل أساريرهم بالفرح ويكادون يطيرون من السرور وإن كانت الفرحة العظمى من نصيب عبيد الذي ضمن دخلاً ثابتاً وتدفق مزيد من تلك العطايا والغنائم إلى تلك الكوات ومنها إليه وبدأت الأحلام تنهال عليه ويبتسم حتى أفتر ثغره عن ابتسامة عريضة قهقه لها وهو يردد بلحن صوفي معين أبيات لمديح سمعه بأحد الموالد التي تقام في القرية من أحد الدراويش

وحاول أن يبدو صوته القبيح رخيماً كصوت ذلك المادح الحسن الصوت لكنه كان النشاز بعينه :

إلهي بالعطايا والغنيمة

وسكنا بجنة النعيما

فطُرق الوصل أضحت مستقيما

وأسرار الهوى عندي مقيما

فلا تخشي صدوداً من حبيب

له نعماً بمولاه مقيما

وإن عثر العجول بسوء فهماً

يلاطفه بأوصاف كريمة

وصل يا إلهي بكل حيناً

على المختار ما هب النسيما

وبدأ حاله يتحسن وهو يستشعر لذة واستمتاع وهو يغوص بخياله أكثر ويوغل في الماضي بعنف ونشوة وهو يتذكر تلك المرأة المتزوجة الضخمة الجثة والناعمة والتي

فيها أنوثة متفجرة وذات الجسم الرهيب الذي يتميز بجمال بلا حدود وأنوثة حقيقية وقد كان يعرفها كأحد جيرانه والتي مضى على زواجها عقد من الزمن عندما أنحنت تدس في ذلك التجويف بعض نذورها وبدأت بمؤخرة عاجية غاية الضخامة تكاد تمزق ثوبها الأخضر المزركش ومن ثم انتصبت بشموخ وأخذت تجول بنظراتها حول المقبرة وما جاورها بقلق، ثم أنزلت سروالها وكشفت عن ذلك الدغل الممتلي المتحصن خلف غابة من الحشائش السوداء المبهرة ودعكته وهي تتمتم بكلمات فهم منها التوسل للولي بأن يمنحها بركاته لتحمل من زوجها وترزق بالخلفة التي حرمت منها وتوقفت بعد دقائق وأصلحت من ثيابها وقد ظل منظر ذلك الدغل الفتي لا يبرح مخيلة عبيد طيلة حياته وطالما تسبب له بأحلام مزعجة ولذيذة في نفس الوقت وكثيراً من حالات الاحتلام الغير إرادية وكم ظل يعاني ليس جمال الموقف وإنما ما صوره له عقله المريض من أنها ستكرر فعلتها تلك والتي انتظرها لسنوات ولكنها لم تعد لقد رحل الحمار بأم عمراً فلا رجعت ولا رجع الحمار، ولم ترزق أيضاً بالولد كما أكتشف من خلال معلوماته ومصادره الاستخباراتية المتواضعة التي كلفته الكثير وجلبت عليه التهم والشك والريبة بسبب أساليبه البدائية والساذجة في الاستقصاء والتحري حيث لفتت الأنظار إليه وإلى تلصصه الغبي والمفضوح وأسئلته المريبة التي في غير محلها وتجعل أقرب المقربين إليه يشك به يتهمه ويخاف منه، أطلق ضحكة أخرى على تصورات طفولته وعلى عدم تغير الوضع حيث لازال هو كما هو ومازال الناس سادرون في غيهم يعشش

فيهم الجهل يؤمنون بالخرافات والدجل والشعوذة فلم تفلح تلك المدرسة اللعينة في أعلى الجبل مدرسة التنوير التي ليس لها من التنوير إلا اسمها ولا دخول الكهرباء والتليفون في تخفيف حِدة الجهل الذي مازال ضارباً أطنابه في عمق القرية وكل شبرا فيها تذكر كيف كان كل يوم يسأل أمه هل نائحة ولدت وأمه تستغرب سؤاله عن المرأة العقيمة الساذجة بالقرية ذات الجمال الطاغي والباهر الذي عوضت به عن العته والسذاجة.

- هي عقيمة لاتلد ما الذي شغلك بها.

كانت أمه ترد عليه وهي ترشقه بنظرات شك وريبة جعلته يمتنع عن سؤال أمه وإن ظل يتتبع أخبار نائحة ويسترق السمع كلما جاء ذكر اسمها على لسان نساء القرية وبعض الشباب الذين أيقظت خيالاتهم، وجعلتهم يعيشوا بالعذاب والشقاء وأثرت في ذاكراتهم وأصابتها بالعطب والوهن، وألهبتها بجسمها المتفجر المتمرد والفاضح ، نفض غبار تخيلاته الشيطانية وأتجه نحو رمس قديم يعود لثلاثين عاماً غطته الأعشاب الخضراء حتى تكاد تميزه بصعوبة بدا يقتلعها من جذورها بساعديه القويين حتى لاحت معالم الرمس ثم بداء يضرب فوقه بعنف مكتوم ثم ابتدئ الحفر بالجاروف حتى وصل إلى تلك الأحجار السوداء المستطيلة الطولية والمسطحة التي تظل القبر والتي تستند لعقد محفور في عرضي القبر أزاح الأحجار ونقلها من مكانها بصعوبة، حتى شعر أن عموده الفقري قد

تشرخ وهيئ له أنه يسمع تشققه آلاماً رهيبة تصر في أذناه وتهب من ظهره، بغتة تلاشي ذلك الشعور بالآلام وانتصب شعر رأسه بقوة وخيل إليه أن الصخرة الغبراء المقابلة للقبر كان فوقها شبح إنسان جالساً عليها وينظر إليه بعيون خضراء فسفورية كالمسبحة الكهرمان الفسفورية التي لا تفارق يد أمه لحظة واحدة وتتطاير شرراً وغضباً وحقداً

النقش الغامض

كانت الحشرجة صادرة من أحد عمال الحراسة الذي بدأت عيناه تجحظ وأنفاسه تتسارع ويسعل سعال متحشرج صادراً عن بلغم قوي يلتصق بحنجرته قبل أن يطيح يداه في الهواء وترتخي وتسقط عصاه ويخر مغشياً عليه جوارها كان الهواء في الأسفل يكاد ينعدم والمكان مكتوم مشبع برائحة الغبار الفاسد الذي ظل لآلاف السنين محبوساً في جدران تلك المدينة المدفونة.

حمل ثلاثة من الرجال الحارس المغمي عليه خارج المدينة النائمة تحت رمل الصحراء بتعليمات من الطبيب ماك نيش طبيب البعثة المسئول الأول عن سلامتهم وصحتهم والذي نصحهم بضرورة ارتداء الكمامات فوق الأفواه والخروج كل فينة وأخرى لشم الهواء النقي ومن ثم العودة وإن كان يفضل تبديل الرجال كل ساعة بآخرين حتي لا يصابوا بالمرض والدوار والصداع ونصحهم بشرب الحليب وهم بالأسفل لتنقية الرئتين، تم تنفيذ تعليمات الطبيب وعاود فريق البحث تفتيش المدينة المطمورة وخلال عمليات البحث طالب ويندل بمد مزيد من الأسلاك الكهربائية المزودة بالمصابيح وطلب عدد من الرجال الأقوياء السواعد

لحمل عدد من الصناديق والتماثيل البرونزية للخارج وقسم ويندل فريق البحث إلى قسمين قسم يتفحص الردهة الواسعة والمداميك الحجرية المنتشرة بها بكثرة والتي يصل عددها إلى أكثر من٦٠ مدمك وقسم يدلفون إلى الحجرات ويفتشون فيها وترأس خبير الآثار بوب شالكوب ويساعده البروفسور البرايت الفريق الأول الذين يبحثون في الردهة في حين ويندل وفريقه ينقبون في الحجرات وراح بوب شالكوب وجماعته يزيلون التراب من الأرض ويمسحون الجدار وسرعان ما اكتشفوا رسوم ونقوش جميلة في غاية الروعة والجمال على الجدران الخشنة وبها رسوم لحيوانات ووعول وأثوار ورجال أشداء ومرر البرايت عدسته الدائرية الكبيرة وتمكن من قراءة تلك النقوش منها نقش يعود للقرن السادس قبل الميلاد يحكي عن معركة انتصر فيها سمه علي وتر على بعض خصومه من حكام الدويلات المجاورة له وإخضاعها لنفوذه ونقش آخر يتحدث عن يدع إب والأعمال العمرانية الكبيرة التي قام بها كشق طريق للتجارة بين قتبان وبقية الممالك والدول التي عاصرت مملكتهم وحفره وشقه لقناة رئيسية لتصريف المياه ونقش آخر لنفس الفترة عن اللبان وأنواع البخور المستخدم في طقوسهم الدينية وعباداتهم وتحدثهم عن تجارة اللبان المربحة ونقش يتحدث عن عهد الملك شهر هلال، ابن يدع إب ذبيان (سنة ٣٧٠ ق.م.) ويمجد انجازاته ويتحدث عن شهرة القتبانيون في مجال العمارة وخاصةً بناء المدن والمنشآت العامة وخاصةً الطرق، حيث يذكر أحد النقوش من القرن الثاني قبل الميلاد أن المكرب يدع إب ذبيان شق نقيل (مبلقة) وهو طريق جبلي صاعد

يربط مناطق قتبان بالمناطق السبئية وكان له دور كبير في تسهيل سير القوافل التجارية المحملة بالبضائع، ومن خلال تفحصهم وجياسهم خلال مباني ومعابد العاصمة تمنع في هذه المدينة المطمورة واطلاعهم على النقوش والغرف والدهاليز انبهروا وتدلت أفكاكهم السفلية ببلاهة غير مصدقين أن هذه المهارة الفائقة في مجال البناء والإبداع في المجال الحرفي وخاصة صناعة التماثيل بمختلف أنواعها، وسك العملات الفضية والذهبية والتي كانت تحمل اسم القصر الملكي حريب في تمنع، وفجأة أخذا البروفسور البيرات يقترب من نقش غامض لم يميزه وطلب بإدناء الإضاءة أكثر واستبدل عدسته بأخرى أكبر حجماً وأخذا يقرأ وقد بدت ألوان وجهه تنسحب منه والعرق يتساقط غزيراً ثم مد يده وأخرج عجينة من جيبه وبدأ بطبع النقش والرسم الذي بجواره وكان عبارة عن رسم لسيدة يتطاير شعرها لها قرنين قصيرين معكوفين وأربعة أذرع وأربعة أقدام أشبه بقدمي النعامة وعينان جاحظتين وفم واسع يدل على عدد كبير من الأنياب والأسنان تقارب المائة وتحمل فوق ظهرها مومياء بشرية وبقراءة النقش كان ترجمته ما يلي :

لما طغي اتحاد ولد عم بعد أن صاروا قوة عظمى في الأرض يحسب لها ألف حساب واستبد ملك قتبان ورو إل وتحالف مع سبأ وسحقوا دولة أوسان الجارة الضعيفة غضب عليهم الآلهة عم وحل بمقابرهم هذا الحَمَل المتوحش غضب الآلهة يأكل سادتهم ويخرجهم من نومتم الأبدية ويجوس خلال الديار ينتزع كل روح

خبيثة من جسد صاحبها ويأخذها إلى مدينة الموتى لتلاقي مصير ما ارتكبته من ذنب وكانت تلك النقوش تعود إلي القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد استمرت أعمال التنقيب والبحث في المدينة يومين كاملين وتم خلالها الكشف عن الكثير من التماثيل البرونزية والحجرية والألواح المنقوشة وعدد من الأضرحة والموميـاءات والعملات النقدية وقلادة ذهبية غاية الجمال وتعتبر الوحيدة التي اكتشفت من الذهب وعداها لم يجدوا ذهباً قط والمرايا البرونزية وصناديق البخور التي نقش عليها صور ورسومات ذات قيمة تاريخية ثمينة جعلت البعثة والعمال في حاله من النشوة والفرحة والسرور والسعادة التي لازمتهم لوقت طويل، وقد أصيبوا بحالة من عدم الإدراك واللاوعي غير مصدقين أن هذا المخزون الأثري والكنز التاريخي قد استخرجوه من جوف هذه الصحراء الجافة القاحلة والموحشة وانه لازال بحالة جيدة رغم مرور ما يقارب الثلاثة الآلاف عام على صناعته وتشكيله

المقبرة تبوح بخوفها

توقف عبيد عن إزاحة الصخور وهو يستشعر خطراً زاد من يقينه ارتكاز شعر رأسه الذي يعمل كوسيلة استشعار وإنذار مبكر له لينبهه بأي خطر محدق قد يحيق به في أية لحظة، ضاعف من فعاليته وجودته سنين الخوف الكثيرة التي قضاها ينبش القبور ويسرقها ويبيع هياكلها وأكفانها وما تركوه أهل الميت للذكرى لتخفيف آلامهم وحسرتهم على فقيدهم، كان شعره راداراً حساساً يعمل بدقة وكفائه، تماماً كقرون الاستشعار لبعض الحشرات التي تستشعر خطر عدوها من الحيوانات، والطيور وتلجأ للهرب والاختباء وتواري نفسها عن الأنظار أخذا يرفع عينيه نحو الصخرة الصماء بتوجس وخوف وقد تلاشت شجاعته أو بالأحرى تسلل إليها الخوف وبدأ يهدها بمعوله بقوة وبدون رحمة ليحطم بسالة وصلابة السنين ويحدث فيها ثقبا بل ثقوبا تتسلل منها الرهبة والخوف والجبن كل تلك القيم المقيتة التي لم يعرفها قط، سنين من البحث في المقابر والعبث في القبور، وبدأ الخوف والرعب يغزو كيانه آسفين حاد شعر به بارداً في قلبه نغزه وجعل قلبه يتشظى ويعلن عن نهاية ذلك القلب الجامد والحديد الذي قد من صخر مسح بكم قميصه حبات من العرق ترشحت فوق جبينه وعاود النظر بوجه شاحب

لكن لدهشته وذهوله لم يجد أدنى أثر لذلك الشيء الذي لمحه فوق الصخرة وقد أخذا الذهول من نفسه كل مأخذ، تنفس الصعداء وأزاح الصخور بسرعة جنونية وأنفاسه تتلاحق واستمر بالنبش حتى وصل إلى عقد القبر وقام برفع تلك الثلاث الصخور المستطيلة السوداء والتي كشفت تحتها عن تلك الجثة البالية والموسدة التي بدت كصرة صفراء تحتوي على عظم أخذها بتوتر وانتقل لقبر آخر نبشه، بسرعة واضطراب راح يحفر بالمنجل والجاروف واللذان أخذهم من غرفة وقف المقبرة الملحقة بالمسجد والتي ليس لها باب ويتم فيها الاحتفاظ بمعدات حفر قبور الموتى ليصل لعقد القبر ويحدث فيه فرجة تكفي لمرور تلك الصرة التي في يده ليدلقها في القبر ويواريه من جديد ومن ثم يخفي الأحجار المستطيلة بمكان بعيد عن القبرين المنبوشين، كان المجهود الذي بذله قد أنهك قواه وجعلها تخور تماماً تبقت لديه خطوة أخيرة قام بسحب بعض الحطب اليابس وأغصان الأوراق ووضعهما فوق الضريح الذي قبر به صرة الهيكل لإخفاء معالم النبش تماماً وثم ارتمي بجذعه على شجرة قرض ضخمة وأخذا يزفر بارتياح وهو يغمض عينيه ومستندا برأسه لجذع الشجرة ووجهه للأعلى وبعد استرخاء دام لخمس دقائق فتح عينيه بنشاط بعد أن استعاد قوته وعافيته وكانت عيناه مصوبتان للأعلى وهناك في أعلى الشجرة قبل أن تلتقي عيناه بذلك الشيء كان راداره اللعين يعمل وإن بدا هذه المرة متأخرا نوعاً ما حيث سرت قشعريرة باردة وعنيفة في ظهره اهتزت من عنفها الشجرة وبدأ شعر رأسه يستقيم بكسل وعضلاته تتحفز، كان هناك

بالأعلى يبادله النظر منتصباً فوق غصن مشدود هذه المرة رآه بوضوح ورأي تلك العينان تشعان وتتوهجان بضوء فسفوري يخطف البصر ويثير الدوار إنه حقيقة وليس وهم ماراه قبل لحظات فوق الصخرة لكن ما هذا المسخ البشع هل الحَمَل أم العضروط(١) أم مصاص دماء أم جني أم الجبرت، طافت في باله خيالات شتي وانتشرت الكلمات من فمه يهذي المعوذتان وما يحفظ من الأدعية اشتعل الأدرينالين بجسمه وتحول إلي حمار وحشي صادف سبعاً وهو يمرح في البرية بغفلة، ونياط قلبه تكاد تتمزق من شدة العدو والتعب قطع مسافة طويلة في العدو حتى شارف على الوصول إلى أول الديار وهناك أخذ يهدئ من روعه خوفاً من أن يصادفه أحد الأهالي ويثير شكه ويفسد عملية بيع القبر المغتصب الذي اغتصبه من صاحبه المتوفي ووسد جثته المتحللة بقبر غريب عنه وعرج بطريقه إلى طريق آخر شبه مهجور وقد شارف على الوصول إلى داره عندما شعر بذلك الفحيح يلسعه في رقبته وقشعريرة باردة قويه تسري بجسده كتيار كهربائي وازدرد لعابه الجاف بصعوبة ويده المتعرقة قابضة على خنجره الماضي ذي النصل اللامع الحاد بتحفز واستدار

---

(١)العضروط في الذاكرة الشعبية اليمنية الغول وهو حيوان خرافي يتراء للناس في الفلوات ويتمكن من تغيير شكله بشكل الإنسان

الاختفاء الغامض

٢٥ سبتمبر ١٩٦١م بعد عام من اختفاء جحبور وولده وقبل عام من قيام ثورة ٢٦من سبتمبر كان قد انقضي عام بالتمام والكمال من الاختفاء الغامض للص المقابر الشهير وولده ووصلت إلى القرية لجنة من تعز من الأوقاف والواجبات لتفقد المنطقة وتقييم غلة هذا العام من الواجبات وزكاة المال، كان الزرع لا زال منتصبا لم يحصد بعد والحقول كلها مزروعة بالدخن والغرب والذرة والمحصول وفير والأرض مروية بالمياه ،ولا تزال آثار أمطار البارحة بادية على الشعاب والحقول وهو أمر افرح اللجنة وزاد من سخط المواطنين حيث قررت اللجنة زيادة الرسوم وزكاة المال نظراً لريع الأرض الدسم هذا العام وأخذوا يجوسون خلال الديار من الصباح الباكر ويتنقلون بين المدرجات الزراعية وحظائر الحيوانات يحصون المواشي والأراضي والزرع والمهن ويدونون اسم صاحب الأرض أو الماشية ويحددون نسبة زكاة المال لبيت المسلمين، استغرقت عملية الحصر والعد يومين كاملين مرت على أهالي القرية كدهر وهم يتشوقون رحيل هؤلاء الضيوف الثقلاء الغير مرغوب فيهم البته، وقد دونت فيها اللجنة كل شاردة وواردة حتى ضروع الأبقار تفحصوها وقيموا زكاتها من السمن والزبدة وبينما هم بديوان شيخ القرية يمضغون أوراق

القات الطرية الخضراء ويشربون الماء البارد الزلال من أكواز فخارية حمراء بيضاوية ويرتشفون القهوة الساخنة اللذيذة بأكواب الحيسي الصفراء الزاهية التي عبقت الجو بنكهة البن اليمني الأصيل والتصقت بأنوفهم رائحتها الطيبة، بعد يوم شاق ومضني كبدو فيه أهالي القرية الكثير من الطعام والمصاريف والعناء، وفرض المكوس الجائرة وكانوا في قمة النشوة وهم يتصورون أنهم قد أسدوا خدمة جليلة لمولاهم الإمام أحمد أو "أحمد يا جناه" كما يطلق عليه أهالي القرية وأخذوا يسرحون بخيالاتهم وهم يتخيلون كلمات الإطراء والثناء التي سيستقبلون بها حال عودتهم المظفرة وبينما هم بأحلام اليقظة تلك والتي كان يتخللها بين الفينة والفينة مدح الشيخ وكرمه وهيبته وسطوته وسيطرته على الأهالي ومستوى الانضباط والطاعة لولي الأمر أفسد عليهم هذا الكيف اللذيذ ومظاهر البهجة والأحلام الوردية الجميلة دخول أرملة جحبور تولول وترقع بالصوت المزعج والنشيج الحزين وترمي بمقرمتها الحمراء المنقطة بالنقط السوداء بوجه كبير اللجنة حتي ارتطم رأسه بالجدار من قوة الرمية وتمنى لو يهشم رأسها أحد عكفته بهراوته الغليظة لولا أنه تمالك نفسه، وتحلى بأقصى درجات ضبط النفس وحتى لا يفسد طقوس الحالة السليمانية التي كانت سائدة وفي أوج تجلياتها، أطارت الصفعة بالمقرمة بوجه كبيرهم كل أثر لمذاق القات وخدره اللذيذ، عندها تمالك رئيس اللجنة نفسه وهو يزيح المقرمة باشمئزاز وتأفف سائلاً المرأة خير يا أختي ما قصتك، ويبدو أن هذا اللطف الغير معهود من قبل رئيس اللجنة قد شجعها فازدادت بالنشيج

والنحيب وصدرها يتهدج وأخيرا نطقت زوجي جحبور وولدي مهيوب خرجا من الدار منذ سنة ولم يعودا ولم نعرف مصيرهم وما حل بهما للآن، كان صوتها وبكائها هذه المرة مؤثراً وأكتسب تعاطف وتضامن الحاضرون، حدج كبير اللجنة الشيخ بغضب والذي بدا متماسكاً وواثقاً من سلامة موقفه، ورد: لقد تم حينها إبلاغ المركز في حيفان وكذلك الراهدة ونزلت الشعبة الجنائية من تعز بعد أن أُخطرو عبر المركز وتمت عملية البحث والتفتيش والتحري في كل مكان لم يتبقى حجر إلا وقلبناه ولا مغارة أو كهف إلا بحثنا فيه كذلك أرسلنا من يبحث عنهم في القرى المجاورة وسوق حروة وبندر عدن وكم هم كثر من هاجروا من أبناء القرية وعادوا بعد سنين طويلة حيث أجبرتهم وأغراهم بهرج المدينة والانغماس بالملذات والشراب لنسيان أهلهم وذويهم ومكثوا في عدن وبدأو حياة جديدة طيبة بعيدة عن شقاء القرية ومنهم من استقل السفن الضخمة العجيبة المجهزة بما لا يخطر على قلب بشر وتاهوا في ملكوتها وعيشها الرغيد وتنقلوا معها من مرفأ إلى آخر، لتحط بهم الرحال في بلاد الفرنجة البعيدة حيث يقال أن نسائها الشقراوات البيض النهمات للجنس والحب يسحرن قلوب الناس وعقولهم حتى لا يتذكرون شيئاً عن حياتهم السابقة وعندما كنت في عدن وأنا في مقهى سكران في الزعفران سمعت الكثير من تلك القصص من أفواه من كتبت لهم العودة من تلك الديار وعادوا وقد تغيرت الدنيا وكبر أبنائهم ومنهم من عاد ولم يعلم ما حل بأسرته حيث المدة الزمنية التي قضوها في تيههم ولهوهم ليست بالسهلة أبدا وحكي لي بعضهم أنه

مكث أربعين سنة في فرنسا حيث خرج من منزل أبويه شاباً يافعاً وعاد كهلاً، وجحبور وولده واللذان لم نجد لهم أدنى أثر كأن الأرض انشقت وابتلعتهم، وأسمح لي يا سيدي أن أوضح لك هنا أمرا بخصوص المختفيان لكنه تدارك وابتلع لسانه حيث كان يبدو له أن تسرع وندم على تهوره وشرد قليلاً، وأيقظه سعال جاف وقوي من رئيس اللجنة فاستطرد المختفي جحبور لم يكن شخصاً سوياً إذ كانت هناك اتهامات له من الأهالي بسرقة ونبش القبور ولكن لم يستطيع أحدا منهم إثبات تورطه في ذلك وكل ما يقال هو مجرد اتهامات وشائعات ولا نستطيع تحميل أنفسنا وقد حققت معه عدة مرات وراقبت المقبرة بنفسي واستطعنا رصد بعض العابثين بها لكن كانوا يفلتون منا دون أن نتمكن من معرفة هوياتهم ومن هم ولعله وجد شيئاً ثميناً في المقبرة ونزل إلى البندر ليبيعه وهو بصحبة ولده وهناك لربما اعتقلا على يد الانجليز أو مكثا بعدن ريثما يتدبرا أمر الأم أو ربما أصابته لعنة الموتى والمقبرة التي عاث فيها طويلاً هو وولده، هنا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وخفض صوته وأخذا يهمس أخذوهم الجن، تنحنح أحد العكف وأخرج من جيب صدريته علبة فضية اسطوانية الشكل وفتحها بظفره المتشقق الذي كان تحته تختبي كل أوساخ الأرض وبدا السواد تحتها كأنه خط حبر، ونكت على راحة يده اليمنى ذلك المسحوق الأبيض اللبني المائل للصفرة ذي الرائحة النفاذة وقبض عليه بإصبعين شاحبتين وراح يسفه ويحشره أقصى يسار زاوية شفته السفلة وشعر بالنشوة والكيف، وأردف بحكمة على زوجة جحبور أن تدفع لنا أجرة البحث

والتمشيط والتحقيق وسنبدأ من الغد عملية البحث والتفتيش والتحقيق مع كل الأهالي فغرت زوجة جحبور فاهها وأسقط بيدها كمن وقع في ورطة وازدردت ريقها بصعوبة وهي تمسح بقايا دمع وهمي بعينيها وأخيرا نطقت بصعوبة وجاهدت لتخرج كلماتها متزنة خلاص يا سيدي قدر الله وما شاء فعل احتسبهم عند الله ولو مكتوب لهم سيعودون أرجوك لا داعي تتعب نفسك وأني امرأة مسكينة لا أجد قوت يومي وربما كلام الشيخ صحيح قد رحلوا للبندر وسيظهران بعد حين وخرجت تجر أذيال الخيبة والحسرة والخوف وحمدت الله أن نجاها من أجرة اللجنة، ومن حينها لم تعد تذكرها كثيراً أمام الناس، زفر الشيخ الذي أحس بارتياح كبير وقد أيقن أن زوجة جحبور ستكف عن تصديع رأسه بقصة اختفاء زوجها وابنه التي حولت بها حياته إلى جحيم وكثيرا ما حاصرته في المجالس والطرقات والتفت لكبير اللجنة محدثاً:- هناك شهود قالوا أن ليلة الحادث كانا بعد صلاة العشاء يحومان حول قبر الحاج سعيد أثرى أثرياء القرية ويعتزمان سرقة القبر والكفن الباهظ الثمن الذي يلفه والعطور الغالية التي تم قبرها معه وانتزاع طقم أسنانه الذهبية وهنا بارك أحد العكف اختفاء جحبور وولده وقال لقد نالا الجزاء الذي يستحقانه واختفائهم هو مدبر من مولانا أحمد بن يحي حميد الدين إذ سلط أحد خدمه من الجن ليخلص هذه القرية الطيبة من هذين العيارين وكثيرة هي القرى التي طهرها من الأشرار، وممن يدعون بالأحرار حيث جنه يتواجدون في كل مكان وينقلون كل ما يقال وما يدور

الشيء

توقف عُبيد وجسمه يكاد يشل من الخوف والرعب واستدار بكل ما أوتي من قوة ينظر خلفه ويتفحص المكان حوله بعقل مشوش مضطرب ونظره الزائغ خارطته التي توضح معالم الخطر ومداه كان المكان موحشاً إلا من أصوت الجداجد وعواء بعيداً لكلاب ضالة تصدر من قعر الوادي حتى البوم بدت خرساء ولم تنعب يومها وهي التي ما برحت تنعب كل ليلة ويستأنس بها في كل غزواته الليلية للمقبرة، أعتزم في قرارة نفسه لئن نجاه الله هذه الليلة سوف يقلع عن هذه المهنة المقيتة ويتوب توبة نصوحة هيئ إليه أنه شاهد وجه يطل عليه من خلف شجرة سدر باسقة من التي تتناثر في قارعة الطريق بكثرة وتشكل غابة حراجية في القرية، فرك عينيه بظهر يده اليمني القابضة على الخنجر ولكن الظل ما زال قابعاً في مكانه وأخذا يشير إليه أو هكذا هيئ له تذكر حكايات الجبرت وكيف أنهم يسحرون الناس ويأخذونهم معهم إلى قراهم البعيدة ومغاراتهم التي تقبع فوق القمم الشاهقة، وأحدث ذلك التخيل ثقوبا عديدة في قلبه وصدره وهو يسترجع ما قيل عن وصفهم البشع والمخيف ومدى امتهانهم واستعبادهم وإذلالهم لمن يخطفوهم، أطلق لقدميه العنان وهرول نحو منزله وقد بداء وهج الفجر يغزو الأفق وصفحة السماء السوداء المطرزة بالنجوم الخافتة والذابلة تتلاشي ولاحظ بيوت القرية بدت تضاء استعدادا لصلاة الفجر وكم تمنى أن يكون إنسان صالح ويتوجه إلى مسجد

القرية لأداء صلاة الفجر، وكم بدت له حياته تعيسة وغير ذي قيمة وهو يلمح تلك الأضواء التي أخذت تنسل من كل حدب وصوب ميمنين شطرهم نحو المسجد غير مبالين ببرودة الجو ووحشة الهزيع الأخير من الليل الذي يحتضر وقد هجروا أحلى ساعات النوم لذة، وصل إلى قرب داره ورفع الباب بكلتا يديه للأعلى ودفعه للأمام بهدوء حتى استطاع إحداث فرجة تمكنه من الولوج للداخل وأعاده بنفس الطريقة وأحكم غلقه بالمزلاج، إذ كانت هذا هي الطريق الوحيدة لتفادي ذلك الصرير المزعج الكافي بتنبيه كل من في القرية وليس من في الدار فحسب وأخذا بارتقاء الدرج الحجري العريض وهو يحمد الله، إذ بعد ولوجه مباشرة كانت المقبرة حيث مسرح عملياته تموج وتعج بالشبان والرجال الصالحين الذين يجتازونها إلى المسجد المجاور والملحق بها حيث لو كان مازال هناك لكان عرضة لفضح أمره أو عرقلة عمله.

أخذت تنازعه وهو مستلقي في غرفة المفرج حيث يفضل أن ينام عوامل عدة ونشب بين ضلوعه صراع عنيف بين الخير والشر، التوبة أو الاستمرار في غيه، الخوف والشجاعة المفقودة العبرة والعضة، السخرية والاستهزاء، حتى غلبه النوم وغفي وهو يتمني أن يصلح حاله، عندما استيقظ عُبيد على صوت أمه وهي تناديه لتناول طعام الغداء الذي كان معداً وجاهزاً يتوسط الديوان وقد فرش فوق صحن نحاسي كبير يتوسطه وعاء ممتلئ بعصيدة الذرة والتي صبت في وسطه

عسل وعلى حوافه السمن وبجواره قشرت عدداً من أوراق الفجل والكراث والبصل الأخضر ومطيبة صغيرة ممتلئة بتوابل مهروسة بالطماطم والفلفل الأحمر أو ما يسمى السحاوق والتي تم طحنها بطريقة بدائية فوق حجر أملس خاص بتجهيزها تعطيها رائحة ومذاقاً خاصاً ونكهة زكية مميزة تسيل اللعاب وتفتح الشهية للأكل وكان النوم يستبد بعبيد ويجعله أكثر التصاقا وتشبثاً بالفراش لولا أن التقطت منخاراه الحساستين رائحة الطعام من العصيدة والبسباس الشهي الذي تتقن أمه طهيه وتتفرد به كسائر نساء القرية فتحامل على نفسه إلى سطح الدار طس وجهه من الحوض الذي في ركن الدار والذي تحرص أمه على تزويده بالماء كل يوم وتنظيفه كل ليلة تناول عبيد طعامه على عجل، وهو شارد الذهن تماماً سابحاً في الفراغ، حتى أنتهي وأنطلق صوب سوق القات بالقرية ليحظى بتلك الأعشاب الخضراء التي تعيد إليه توازنه، ومن تحت تأثيرها تخرج أفكاره الشريرة والنيرة.

بعد أسبوع باع عُبيد ثلاث جماجم كان قد سرقها سابقاً من عدد من القبور لطلاب طب الأسنان بأحدي الجامعات الخاصة وتمكن بثمنها من شراء عدد من الأشياء للمنزل ووالدته وحلوي وفاكهة وخضروات كثيرة ودرزن بطاريات وعدد من اللمبات لكشافه الذي لا يفارقه ويعد صديقه الحميم وكثيرا ما كان يردد عبارة وخير جليس في الزمان تريك وهي التسمية التي يطلقها على مصباحه اليدوي

الذي لا يفارقه حتى في عز النهار ولم ينسي أن يشتري عبوتان غازيتان مثلجة من مشروب الكوكا كولا الأسود الفوار له ولصديقه الحميم حاميم وكيساً عامراً بأعواد القات وبعد أن حطت السيارة التي امتطاها من سوق الراهدة إلى قريته ونقل كل حاجات المنزل وكان قد تغدي غداء دسماً في المدينة يمم شطره نحو الوادي ومعه قاته وتوابعه من عدة الكيف وطقوس الساعة السليمانية، في تلك الديمة البدائية والمتصدعة على شاطئ الوادي، اتخذ عبيد وصديقه الحميم حاميم من أحجار الوادي وأعشاب الأشجار وبعض الكراتين متكأ وقد هيئوها بشكل منظم وبديع وافترشوا الكرتون المضلع الذي تم تقطيعه حسب مقاسات وزوايا الديمة وإن كان يبدو بسيطاً ورثاً إلا أنه في نظرهم ونظر الكثير من أصحاب كيف القات أو من يطلق عليهم أهالي القرية الموالعة*(١)، يعد أفضل من عرش الملكة بلقيس ودواوين تلك القاعات الفخمة المعدة لمقايل الأعراس بفرشها العربي الفخم ومجالسها اليمنية الوثيرة المطرزة حيث العبرة حسب كلامهم بالكيف لا بالمجلس وبعد طقوس الترحيب والاستقبال المعتادة قعدا يمضغان أوراق القات ويستحلبان مادتها المنبهة والمنشطة دون أن ينبسا ببنت شفه حتي قطع عُبيداً هذا الصمت قائلاً:

اسمع يا حاميم هل المكان هنا آمن ولا أحد يحضر

---

* الموالعة لفظة دارجة تطلق على متناولي القات بإدمان وشراهة

هز حاميم رأسه علامة الإيجاب مستدركاً أنت تدري أن ورائنا هاوية سحيقة ومنفذ الديمة يطل على الوادي وأي شخص قادم لا بد لنا من أن نبصره من بعيد، الحمد لله نطقها عبيد بارتياح كبير كان حاميم بالنسبة لعبيد ليس فقط مستودع سره وصديقه بل صديق طفولته وتوأمه وجليس الأنس، الذي يشبهه كثيراً خلقاً وخلقاً حتى أنهما يتشابهان بالوجه كثيرا، لولا أن حاميم أطول منه نوعا ما وأنحف، وكثيرا ما كان من يصادفهم من أبناء القرى الأخرى عند ذهابهما في الأعراس يظناهما أخوين فالطيور على أشكالها تقع بل إن هذا يكاد يسري على أبناء القرية المتميزون بتلك السحنة السمراء والوجوه الملائكية البريئة التي تشبه قريتهم والتي تدل على انتمائهم الجغرافي لمنطقة معينة حيث كثير من مناطق اليمن تتشابه وجوه أهلها مع طبيعة أرضها وصارت السمة الغالبة عليهم، وكلهم تتشابه دمائهم ويعزون ذلك إلى ماء القرية وتربتها التي لفحتهم بتلك البشرة القروية الكالحة والقمحية التي توحي بالطيبة والنخوة والكرم، مردداً سأقول لك قصة غريبة حصلت لي جعلت الرعب يجتاح كل ذرة في جسدي والخوف يعشش في كل عضلة من جسمي إلى الآن ضحك حاميم بصوت مرتفع وهو يستل من غمد الربطة النائمة بجواره عود قات دقيق أخضر وندي مائل للاحمرار، خبطه خبطتين متتاليتين فوق فخذه الأيمن وراح يحشوه في فمه ويمضغه بصوت مسموع وبتلذذ ونشوة، ويعتصر مادة الكلورفين منه كأنه أشبه بآلة عصر قصب السكر ومخاطباً عبيد بصوت جش وجهوري ما هو الذي يجعل أمير المقابر يخاف وهو الذي

قضى عمره منذ نعومة أظافره بين وحشة المقابر في جوف الليل والظلام الدامس يبدد وحشتها والتي لا تقوى حتى أشجع الرجال بمجرد العبور من جوارها فكيف بالمكوث الطويل بين تلك القبور والعبث والسرقة لكل ما يصلح ومالا يصلح للبيع ولانتفاع الآدمي ولا تنس أيضا أنك تبيع بعض الأعضاء البشرية لاسيما الأجنة لأولئك السحرة والمشعوذين لطقوس السحر والدجل وليس أرعب من عالمهم المخيف والتعامل معهم وينقصك فقط تجارة أعضاء البشر، ليس لأنك شريف لكن لأن تلك الجثث تكون قد فقدت تاريخ صلاحيتها كأعضاء بشرية وقطع غيار وجهلك بهذه التجارة المربحة والمقززة في آن معا،

- شششش إخفض صوتك يا حاميم تريد أن تفضحنا

يقول عبيد متوتراً وهو يتفحص المنحدر المقابل المؤدي للوادي وتوتره وقلقه وخوفه يتصاعد بقوة وكان على حق في ذلك.

قحنان

كان قحنان مختلفاً كليا عن ابن عمه حاميم من حيث الصلاح والتقوى والمحافظة على الصلوات في أوقاتها حاضراً ولا يغفل عن أذكار الصباح والمساء ويقضي ساعاته في المترس في المزرعة بالوادي في تلاوة القرآن والتدبر والتأمل والصلاة، كان قحنان خريج الدفعة الأولي من كلية الحقوق جامعة تعز العام٢٠٠١م وقد انسلخت عشر سنين من عمره منذ تخرج ولم يحظى بوظيفة كما أن معدله المقبول لا يمكنه من الالتحاق بالمعهد العالي للقضاء للدراسة والتأهل كقاضي أو أمين شرعي وقد حاول التدرب عند محامي وأنصدم بالروتين المعقد والمدة المقررة التي يجب أن يقضيها كمحامي تحت التدريب ثلاث سنوات يظل يلاحق القضايا من محكمة لأخري ومن نيابة إلى مركز شرطة ومن السجن للحجز فضلاً عن تلك المهمة العسيرة والغير لائقة التي كلفه بها المحامي الذي تدرب عنده لأسبوع ثم نفض يده من المهنة نهائيا وهي البحث عن أصحاب قضايا وموكلين للتعاقد مع مكتب المحامي الذي يتدرب لديه وأكثر ما جعله يقلع عن تلك المهنة أنه وجد ما تعلمه و درسه بالجامعة في جبل وما هو موجود على

أرض الواقع بوادي وتلك المرافعات الحماسية التي كان يشاهدها بالتلفاز في المسلسلات والأفلام وكان يحلم بالتباهي بها وتفجير قدراته البلاغية وإذهال جمهور الحضور للمرافعات لم يجدها سوي همسات بين القاضي والمحامي وكثيراً ما كان يسمع عبارة كل شيء بالملف أمام فضيلتكم ليأخذه القاضي للاطلاع والدراسة في منزله حيث كان يجري الشوط الإضافي الثاني من المرافعات وأكثر ما ثبت إصراره وعقد العزيمة لديه لتطليق المهنة طلاق بائن بينونة كبرى عندما وجد العديد من أبناء جبل صبر تلك المديرية المشهورة بجبلها الباسق وبفواكهها الطازجة والورد والمشاقر والريحان وقاتها الأخضر الطري ونسائها الجميلات والأنيقات بملابسهن الشعبية المزركشة والزاهية الألوان حيث أذهله أولئك المواطنون البسطاء قليلي التعليم ومنهم من لم يتعلم ببراعتهم بالمحاكم والنيابات كانوا مفوهين يتقنون أمور الشريعة واجراءت التقاضي والمحاكمة والدفع والرد والنفي ويمسكون بزمام الأمور جيداً ويعرفون متى يغضب القاضي ومتى يبتسم ماهرين لديهم القدرة على الإقناع والاستشهاد بالقانون والشريعة والأدلة والقرائن، فصحاء وبلغاء أفضل بكثير من ذلك المحامي المفجوع الذي تدرب لديه ويبدو أنه مصاب بالفهاهة والبلادة أو كأنه لاعب كرة قدم مجهد أصيب بحالة بلع لسانه هناك نطقها على المحاماة السلام وردد مقطع من أغنية شعبية شهيرة.. لأيوب طارش الفنان اليمني الشهير .."شاعود للخلان والأحبة شاعود يكفيني شجن وغربة شاعود للأشجار والعصافير ملونات الريش والمناقير وللحمام البيض

والشحارير وللمواشي السائمات والبير راجع لشمس الصبح والمغارب راجع لبرد الظل في الشواجب" ، ولم يتحسر سوى على تلك الأربع السنوات التي قضاها بين جدران الكلية وتدارك نفسه سريعاً ولم يقض ثلاث بين جدران المحاكم وعندما كان يتذكر القاضي وهو ينفخ صدره وعليه ذلك القميص الفضفاض الناصع البياض والطيلسان المزركش والجنبية الفضية اللامعة والباهظة الثمن التي يضعها بخصره الأيسر تحت الحزام المذهب العريض والجبة و الكحل الذي يغدقه على عينيه دون مبرر وخلفه أمين سره المتزلف الذي هو نسخة طبق الأصل منه محتضناً عدد من الملفات الملونة البالية ،التي تحوي بين دفتيها عشرات القضايا العالقة والمسحوقة والتي تجسد معاناة الناس وضياع حقوقهم وأرزاق أطفالهم وكفاح السنين المرير وأشراف وأعراض ودماء طارت وضاعت هدراً بسبب ضمير فاسد تذكر حديث الرسول(قاضي في الجنة وقاضيان النار) عرف باكراً ومن الأسبوع الوحيد الذي عاشر به أهل المهنة الأكثر ذمة وأمانة أن سبب تخلف هذا البلد وضياعه وما هو فيه من شقاء وبلاء هو القضاء فلو صلح القضاء لصلح كل شيء ولو كل قاتل ومجرم نال جزائه الرادع ما تجرأ غيرهم من عتاة الإجرام على القتل، مئات القضايا في دهاليز المحاكم عالقة وإرهابيون وقتلة سفاحون متعطشون للدماء أزهقوا مئات الأرواح مرميين خلف القضبان آكلين شاربين مخزنين حتى أن نصفهم هرب سواء عبر صفقات سرية عقدت مع حراس السجون أو عبر حفر أنفاق يتم التغاضي عنها لا نعرف ما السبب في الإبقاء على قاتل وسفاح سنين طويلة

ودون تنفيذ شرع الله والقصاص العادل فيه، لكن ما كان يحز في نفسه ويجعل نصل حاد يخترق أحشائه ويلسعه بقوة عندما يتذكر تلك الأربع السنين التي قضاها في الكلية البعيدة التي تقع في ضاحية المدينة وكيف خاب أمل أبيه فيه ورجاء أمه وتمنى لوكان أحسن الاختيار من الأول وانتقى تخصص يمكنه من الحصول على وظيفة بدلا من تخصصه المنبوذ الذي لفظته كل الشركات الخاصة وأحلته إلى دكه الاحتياط وزارة الخدمة المدنية ولم تأبه به ،بل رغم تجديد قيد طلب التقدم للوظيفة العامة منذ عقد من الزمان لم يجد أدنى اهتمام ولا حتى كلمة تطمئنه بالأفضلية أو الأولوية في حالة وجدت وظائف شاغرة له، حتى زملائه من دفعته والدفع السابقة لم يأبه لهم أحد ولا يتذكر أحد توظف إلا زميله حميد القاضي نظراً لعلاقات أبيه القاضي الواسعة في سلك القضاء أي عقلية بليدة وقرار أحمق اتخذه حينها عندما قرر أن يدرس القانون في بلد لا يحتكم للقانون ولا يعرف إلا قانون القبيلة والمتنفذون والمنتفعون ومراكز القوى وسلطة الشيخ فيه فوق سلطة القاضي وأحكامه تغلب مواد القانون والشيخ هو المشرع والمحكم والخصم والحكم وهو روح القانون وجوهره ومصادر الالتزام والمذكرة التوضيحية والشرح المفسر وما عداه هو مجرد كلام يخطه الدكاترة في الجامعة للطلاب على ملازم ،ليجنوا الآلاف من بيعها للطلاب والطالبات ،مسح قحنان تلك الدمعة السخية التي انحدرت على خده وهو يتجرع مرارة عمره الذي ضاع وتأنيب الضمير الذي يوخزه بعنف دون هوادة لرحيل أبيه وأمه دون أن يطعما ثمرة شقائهم وتعبهم

وصبرهم ويرو ولدهم أفكاتو أو قاضيا أو وكيل نيابة أو حتى مساعد أو معاون نيابة يفتخران به تحامل على نفسه واخذ تلك السلة الكبيرة التي يحتفظ بداخلها سجادة الصلاة وترمس شاي ومصحفه وعشاءه ومسبحته الفسفورية العتيقة وحمل بندقيته فوق كتفه وانطلق صوب الوادي ليتولى نوبته في حراسة المزرعة بدلاً عن ابن عمه حاميم والذي طالما دعا له بالهداية والصلاح نظراً لقطعه للصلاة وافتعاله للمشاكل مع أهالي القرية وحدة مزاجه المتقلب وتلك الألفاظ النابية التي لا تفارق لسانه البته ها هو الآن قد استقر به المقام حارساً ومشرفا على العمال في مزرعة عمه الكبيرة التي تحتل مساحات شاسعة من الوادي والتي تضم بين جنباتها عددا من حقول القات الفاخر والغالي الذي يشتريه علية القوم وفي مقدمتهم أولئك القضاة الفاسدون والمحامون الكبار ونجوم السياسة وصفوة المجتمع وها هو يحصل على راتب يكفيه ويكفي أسرته الصغيرة حيث استطاع الزواج وفتح منزل بمهنته هذه التي رفضها في الأول ووجد نفسه مضطراً للعودة لها مرغماً وتمني لو كان قبلها من الأول بدل إضاعة وقته هدراً في الجامعة لكنه عاد واستغفر لو تفتح عمل الشيطان أقدارنا مكتوب فلنعيش بهدوء وليس الخلل في التعلم ولكن في البشر هكذا حدث نفسه كان نظام العمل بالمزرعة بينه وبين حاميم واثنان من أبناء عمومته يوم يحرس هو وحاميم ويرتاحا يوم ثم يتولى الآخران الحراسة وكان يضطر للمواصلة أحيانا حتي الثامنة صباحاً للإشراف على أعمال القطف ريثما يحضر عمه بعد أن استلم قحنان نوبته من حاميم وبعد أن مضي شطر من الليل

كان قد صلى ورتل آيات من الذكر الحكيم على ضوء المصباح الذي يعمل بالغاز الشديد الإضاءة والذي يصدر صوتاً غاضباً أثناء الإضاءة أشبه بغليان مرجل عتيق وكان يتجهز بعد أن تناول عشاءه لمضغ القات وبالرغم من تلك الضوضاء الصادرة من المصباح الغازي تناهي إلى مسامعه صرخة مكتومة حملتها نسمات الليل من جهة الشمال باتجاه المقبرة هيئ له أنها صرخة حاميم ابن عمه الذي فارقه من ساعات قليلة من الزمن، أصاخ السمع مجدداً محاولاً الابتعاد عن الديمة لكنه لم يجد إلا السكون يلف المكان ونعيب البوم الذي يكثر في الضياح السحيقة المطلة على الوادي حيث يبني أعشاشه في تجاويفها وخفقان أجنحة الخفافيش التي تمرح في الجو وصرير الجداجد قرب نبع ماء الغيل الرقراق المتدفق في الوادي كان يمضغ قاته دون رغبة منشغلاً بالصرخة المكتومة التي زادت من قلقه وفجرت ألف سؤال في دماغه اخذ موبايله حاول البحث عن تغطية دون جدوى ولما أعياه الأمر صعد فوق سقف الديمة وظل الموبايل على ما هو عليه لم تتحرك نقطة واحده سوي نقط البطارية التي كانت تتناقص نتيجة محاولات الموبايل اليائسة بالبحث عن تغطية مفقودة، مسح بعينيه الحادتين حقول القات وعمل دورة تفتيشية ثم أخذا بندقيته وارتقى المنحدر الذي أتي منه حتى وصل للطريق الترابي الغير معبد التي تشرف على الوادي ومزرعة عمه وعينيه مسمرتين على شاشة الموبايل تعانقان الأمل بتغطية سريعة حتى أتي الفرج أخيرا وظهرت نقطة تلتها ثانية وثالثة في حين ظلت الرابعة تتأرجح بين الظهور والاختفاء واتصل على

رقم حاميم لكن التغطية كانت كاذبة ظهرت تلك العبارة اللعينة لا يوجد تغطية صعد على حافة الحقل المرتفع الموازي للطريق انبثقت الخمس نقاط تتراص خلف بعض اتصل مباشرتاً على رقم حاميم و قد بدا جبينه يرشح رغم برودة الجو سمع رنين على الطرف الأخر لكن لم يتلقى رداً حاول للمرة الثانية والثالثة وحتى العاشرة عندها اتصل بتلفون احد أبناء عمه عبدالجبار أتى صوت وضاح ابن عمه ناعساً حيث كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر ليلاً حيث ينام وضاح المشرف المباشر على قطف القات وتعبئته في شوالات واسعة ومبللة حيث يستيقظ مع آذان الفجر ولا يعود للنوم مطلقاً إلا في التاسعة مساءٍ السلام عليكم عفواً وضاح سامحنا أيقظتك لكن الأمر هام جداً أين حاميم هل موجود بالبيت اتصل له لا يرد طار النوم من عين وضاح عندما سمع اسم أخيه الكبير وأغلق السماعة بوجه قحنان دون أن يخطره بقفل المكالمة أو يستأذنه وتوجه إلي غرفته في أعلى الدار ووجدها مواربة و أضاء زر النور ولم يجد أخيه وغرفته مرتبة لم تمس ولم يدخلها منذ خرج الثامنة صباحا.

سر التمثال الأخضر

استغرقت عملية تنظيف ونقل الرمل والآثار من المقبرة ثلاثة أيام بالتمام والكمال تم فيها مضاعفة العمال وزيادة ساعات العمل وصرف مزيد من الحوافز لتشجيع العمال على المحافظة على القطع الأثرية والبقاء ساعات إضافية للعمل لاسيما أولئك العمال الأذكياء والماهرون والنشيطون، وتم استئجار قصر طيني كبير بفناء واسع مكون من عدة طوابق مملوك للشريف عواد وتم شراء عدد من الأسرة الخشبية التي تم رص القطع الأثرية فوقها بحرص وعناية شديدتين وقد تولي البروفسور البرايت شخصياً الإشراف على مخزن القطع الأثرية تلك وأخذ يحصيها ويدون كافة التفاصيل عن كل قطعة ويأخذ مقاساتها وأوزانها وينسخ النقوش التي عليها ويقوم بترجمتها تساعده بذلك أيلين، الفتاة البيضاء والشقراء الفرنسية من أصل جزائري ذات النهدين الرجراجين المكتنزين، ودائما ما كانت تتعمد أن تحبسهما خلف كنزة مطاطية تشي بمدي حجمهم المهول وجبروتهم، وخمسة أمريكيين والريس جيلاني المصري رئيس العمال وستة من اليمنيين وأثناء ما كان البروفسور منهمك في أخذ المقاسات والأوزان وقراءة النقوش سمع صوت العامل

عبد الله وهو أحد أفضل عمال الحفر يصيح بقشيش بقشيش، ضبط البروفسور نظارته فوق عينيه وهرول خارج البدروم الذي اتخذ مخزن للقطع واتجه نحو مقبرة تمنع حيث تجري أعمال الحفر، كان هناك كمية ضخمة من الرماد وقد برز من وسطها معدن أخضر عريض وهناك كان ويندل وشارلي ماك كولوم وسليم وجمعه وقد أمر ويندل بإحضار الأثوار التي ربطت إلى أعناقها حبال تنتهي بمجارف عريضة بعصا معكوفة وابتدأ بإزاحة الرمل والرماد حول المعدن الأخضر وكان اوكي رومين يوثق عمليات استخراج الكتلة المعدنية أولا بأول وكانت عملية استخراج المعدن تلك تتم بحذر شديد وأخيرا برز للسطح وكان عبارة عن تمثال أخضر مصنوع من البرونز بشكل متقن، ويشبه تماماً ذلك الرسم الذي وجد بالمقبرة بالأسفل وكان عبارة عن تمثال لسيدة يتطاير شعرها لها قرنين قصيرين معكوفين وأربعة اذرع وأربعة أقدام أشبه بقدمي النعامة وعينين جاحظتين وفم واسع يدل على عدد كبير من الأنياب والأسنان تقارب المائة وتحمل فوق ظهرها مومياء بشرية هرع كافة العمال لمشاهدة هذا التمثال البديع والغريب وراح الكل يتساءل حول كينونة هذا الجسم وإلى ماذا يرمز خاصة أنه يوحي أنه لامرأة على شاكلة وحش خرافي، تم رفعه برفق فوق عربة خشبية يدوية عريضة وكان الجميع فرح ومشدوه وحيران وطمئنهم البروفسور البرايت أن هناك نقوش على قاعدة التمثال وبعد عملية التنظيف وقراءة وترجمة النقش سيكشف عن ماذا يرمز إليه ذلك التمثال والذي يشابه ترجمة نقش مشابه وجد بمقبرة تمنع، أصبح التمثال شغل

العمال الشاغل ولم يكن نحته الجميل والبديع هو ما شغل العمال وبعثة التنقيب بل التقرير الصادم الذي خرج به عالما النقوش والآثار الأمريكيين البروفسور البرايت وجام، حيث يحكي النقش أن التمثال هو لحيوان النباش الذي غزا تلك الديار واستوطن حجر بن حميد وهجر كحلان وتمنع العاصمة حتى صرواح ومأرب اجتاحتها تلك المخلوقات المتوحشة الغريبة بعد أن تحالفت دولتا قتبان وسبأ وقضيتا على دولة أوسان المسالمة صاحبة العديد من المشاريع والأعمال الخيرة وسادت البحر والذين كانوا يحمون السفن من القراصنة والغزاة وقد ظهر هذا الحيوان الذي يطلقون عليه اسم النباش حيث قام بنبش قبور عدد من قادة وجنود دولة قتبان الذين قضوا في الحرب على أوسان وقد تفاجئ الأهالي بمعظم القبور منبوش واختفاء جثث مقاتليهم منها الأمر الذي دفع الملك يدع إب ذبيان حاكم قتبان حينها بعمل حراسه مشدده على مقبرة تمنع لكنه فوجئ في صبيحة اليوم التالي كل رجاله والبالغ تعدادهم عشرين محارباً قد اختفوا ولم يتبقى سوي رماحهم وسيوفهم ودروعهم فقرر تعزيز القوة لتصل إلى المائة وعين عليها ابنه شهر هلال بن يدع إب – وتقع مقبرة مدينة تمنع عاصمة الدولة القتبانية على بعد نصف ميل على الشمال من هجر كحلان تمنع في ما يعرف موقع حيد بن عقيل حيث الملك يدع أب ذبيان أنشأ هذه المقبرة التي تعد تحفة معمارية وهندسية وتنتصب على الجانب الغربي لجبل صخري قاحل ففي قاع هذا الجبل تم إنشاء مبني حجري مترامي الأطراف وكان الجدار الداخلي للمقبرة مطلي ومشيد باللبن ويبلغ ارتفاع

سوره ستة أقدام وفي مدخل المقبرة على جانبي البوابة الواسعة التي رصفت بالبلاط ينتصب تمثالين لأسدين من البرونز الخالص ارتفاع كل منهما ٦١سم وطوله ٧٠سم يعتلي كلاً منهما غلام عار يمسك قوساً بيمينه ويقبض بيسراه على حلقة لسلسلة تنتهي بسوط يحيط بعنق الأسد، وفي داخل المقبرة تناثرت القبور الحجرية المكونة من وحدات مستطيلة وقد اختلفت من حيث الفخامة والبساطة حسب مكانة السيد أو الشخص المتوفى وقد ظهرت عدد من القبور المنبوشة الخالية من رفات أصحابها تقدر بسبعين قبراً هي قبور أولئك المحاربين التي أخذتها المخلوقات الغريبة وكان يوجد العديد من المقاعد الحجرية التي يستخدمها زوار المقربة والتماثيل والأعمدة الجرانيتية ومباني لتقديم النذور وسراديب وغرف لحفظ أدوات النحت والحفر ومعاول وفؤوس ومناجل ومطارق تشذيب الصخور وتم اتخاذ مصلي واسع لاستراحة الأمير شهر هلال بن يدع إب ذبيان ملك قتبان في حين توزع بقية الجند على أرجاء المقبرة وهم يحملون المشاعل النحاسية وتم إيقاد شعلة كبيرة قبالة المبنى المبِني من حجارة ضخمة متخم بالقطع والنقوش والمنحوتات والرسوم الأثرية الجميلة وتناثرت حوله تماثيل غاية الروعة من المرمر، كان حيث تم اتخاذ المصلى لإقامة الأمير وحوله تجمع خمسة من حراسه الأشداء بحرابهم المسنونة المدببة وسيوفهم البتارة أخذا الجنود الخمسة يتجاذبون أطراف الحديث وهم يشعرون بالخوف والتوتر الذي حاولوا إخفائه والظهور بمظهر يليق بهم كجيش النخبة وحرس لولي عهد الدولة القتبانية، لكن هناك شعور خفي

وإحساس بأن ما يواجهونه من عدو خفي أقوى بكثير منهم ومن جيش دولة قتبان وحليفتها سبأ إنه غضب الإله عمَ كانوا يشعرون أنهم يقفون ضد الإله وأنهم يرتكبون خطيئة عظيمة بالوقوف ضد مشيئته وأن القوة الضاربة التي حلت بزملائهم ما ينبغي لها أن تكون لمقاتلين أو جنس بشر وهم جنود متمرسون خاضوا حروباً عدة، ويعرفون حدود القوة الطبيعية للمحارب وقدراته، لكم تمنوا من أعماق أنفسهم المضطربة التي نبتت فيها بذرة الخوف الذي يجاهدوا ألا تظهر وإلا كان مصيرهم المحتوم هو القتل، أمنيات تتطاير من صدورهم مع هبات الريح ..لو الملك وابنه ينفضان يدهم من هذه المغامرة المجهولة العواقب ويدفعان بالمزيد من اللبان والمر وتقديمها كنذر وقربان للإله ليصرف عنهم غضبه ومخلوقاته التي حضرت للثأر لأوسان ذلك الإقليم الجميل شديد الخصوبة الغني بالغيول والأودية الذي تركوه حطاما، وأثرا بعد عين وكل القبائل المستضعفة اللاتي أخضعوها لطاعتهم وأزالوا أسمائها من الخارطة وسبوا نسائها واستعبدوا رجالها وفرضوا ضرائبهم وجبايتهم ....،إلى هنا توقف البروفسور البرايت حيث كان هذا هو كل المدون في القاعدة العريضة للتمثال وأخذا جبينه يرشح وظهره ينضح بالعرق وكان في غاية الانزعاج لمعرفة بقية القصة وشعور بالمرارة والخيبة والرغبة يستبد به كان كمدمن حل ميعاد رغبته المتقدة للشم دون أن يجد جرعته المعتادة، انخرط بنقاش ساخن وطويل مع ويندل فيليبس الذي كان هو الآخر لا يقل شغفاً وشوقاً عنه لمعرفة التفاصيل رجعا إلى القصر الطيني حيث تقبع العشرات من القطع والتماثيل

والأواني الفخارية وقام هو وجام بإعادة قراءة النقوش قراءة متأنية ودقيقة استغرقت القراءة وترجمة النقوش ثلاثة أيام لكن دون جدوى لم يجدا أي تكملة للقصة المثيرة التي ظلت تشغل حيزا كبيرا في رؤوسهم وجعلت عملهم أكثر صعوبة حيث كانت بقية النقوش تعطي إشارات للحياة السياسية والاجتماعية والقوانين وتتحدث عن الإصلاحات وطرق الري والزراعة وتتحدث عن قصر حريب القصر الملكي لحكام قتبان الأمر الذي كشف لهم عن مدى بريق حضارة قتبان ومجدها الإنساني وعداها لم يجدوا ما يشفي غليلهم ونهمهم لما جرى في المقبرة وهل ظهر النباش مجددا وهل تم قتله من قبل الجند أم قضوا على يديه ومن حياة الأمير شهر هلال بن يدع إب ذبيان الممتدة تدل أنه عاش ليرث الملك بعد أبيه ليصبح ملك قتبان حيث يدل على عدم تعرض المخلوق الأسطوري لهم أو أنهم نجحوا في القضاء عليه، نشر الليل ردائه الأسود وتم تشغيل المولدات الكهربائية تناول ويندل فيليبس والبروفسور وبقية أعضاء البعثة عشاءهم، وأخذ ويندل كوب شاي ساخن وصعد إلى سطح المنزل الذي يقطنه وأخذا يرتشف الشاي وهو يتطلع إلى المقبرة بحيرة وقهر وعجز حين شعر بيد البروفسور تحط على كتفه مخاطباً إياه لا عليك لابد أن يكون للأسطورة جذور ممتدة في حياة اليمنيين ويمكننا سؤال الشيخ عواد ونطلب مساعدة السلطات البريطانية في عدن للسؤال في المجلس المحلي وجامعة عدن أنا واثق من أننا سنفك لغز المقبرة ووحشها وسنجد في عدن وعلماء الاجتماع والانثروبولجيا وشيوخها الطاعنون في السن لاسيما أن اليمنيون هم أهل

تاريخ عريق و تراث وأدب وثقافة ولا تنس أن لدينا مرحلة أخرى للتنقيب عن مدينة سبأ الأثرية في مأرب وهناك لاشك سنجد ما يسلط الضوء على الحضارة القتبانية لاسيما أن دولة سبأ وقتبان كانتا حليفين قويين في حربهما ضد دولة أوسان وبعض الممالك القديمة وقد ورد في النقش أن تلك المخلوقات اجتاحت صرواح ومأرب أيضاً

البحث عن حاميم

أستيقظ الحاج عبدالجبار مفزوعاً على صراخ ولده الصغير وضاح وهو يطرق باب الحجرة ارتدى كوفية النوم البيضاء المصنوعة من الصوف وفتح الباب وهو يتعثر بالظلمة وأضاء زر النور إلا أن الكهرباء كانت مقطوعة فتحسست يداه الكوة والتقط كشاف يدوي أحمر كبير وأضاءه وفتح الباب وعلامة القلق ترتسم على محياه ووجهه عابس من أثر النوم وقبل أن ينفتح الباب سوية،كانت الكلمات تتدفق من فم وضاح كطلقات مدفع رشاش اتصل لي قحنان يطمئن على عودة أخي حاميم ويسألنا هل هو موجود في الدار وعندما صعدت لغرفته في أعلى الدار لم أجده وأخبرنا قحنان أنه سمع صراخ جهة المقبرة يشبه صوت أخي،كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل تماماً وقد تجمع عبدالجبار وأولاده وبعض عماله وأولاد أخيه وأصهاره وعددا من أهالي القرية يحملون الفوانيس والكشافات اليدوية القوية ومسلحين ببنادق آلية والعصي والهراوات وانطلقوا صوب المقبرة يبحثون عن حاميم ورفيقه عُبيد حتى وصلوا إلى حدود المقبرة كانت ليلة سوداء حالكة الظلام جعلت المكان في هذه الساعة المتأخرة من الليل يبعث الرعب والخوف في النفوس

ولولا كثرتهم وتشجعهم ببعض لما تجرأ أيا منهم على الاقتراب من المقبرة في ساعات الليل الأولي وليس في هذا الوقت فقط عندها توقف عبد الجبار وأنفاسه تتلاحق وبدأت ملامحه تتغير ويكتسيها التهيب والخشوع وحط كشافه تحت إبطه الأيمن ورفع يديه بالدعاء السلام عليكم أهل الديار من المسلمين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين أسال الله لنا ولكم العافية وقراء فاتحة الكتاب وخطى نحو المقبرة التي كانت موحشة وشعر بعض الشباب بالقشعريرة في حين كان عبدالجبار عصبي المزاج تبدو عليه أمارات الترقب والقلق وبدأ يصدر تعليماته للناس بالبحث وأخذوا يمشون بين القبور متحاشين الدهس عليها ومنهم من توجه للبحث نحو مسجد القرية الملحق بالمقبرة وأسفل قبر الحاج سعيد مرا أحد الشباب الذي كان يغالب النعاس وأصدر تثاؤباً بصوت مرتفع عندما لمح تحت شجرة زينة ضخمة جذع إنسان ملقى جوارها، صوب نحوه شعاع من الضوء وشعر بقشعريرة قوية تنخر عظامه وصاح تعالوا هنا وجدته وجدته اتجه الجميع صوب الشاب الذي لم يكن بعيدا وتحلق الجميع حول جذع الرجل الذي لم يكن سوي لص المقابر الشهير عُبيد الذي كان مغمياً عليه وشعره معفر بالتراب وملابسه رثة وعلى جسمه آثار خدوش ودم متجمد ومادة مخاطية لزجه هلامية رمادية اللون فوق ملابسه وأجزاء من رأسه وجسمه تقدم نحوه رجل في الستين من عمره وبيده قارورة ماء ونضح الماء في وجهه وفوق رأسه وأسنده لجذع الشجرة وبداء يخبط وجنتيه برفق ويشممه بعض أوراق الشجر التي

هرسها بيده فبداء عُبيد يفوق رويداً وعقله يصفي وأبصر المصابيح والفوانيس والأهالي متحلقين من حوله فأطلق صرخات هستيرية وأخذا يرفس بقدميه الهواء وتشبث بالرجل الستيني لا لا لا تقتلني أرجوك سوف أتوب عن نبش القبور، وبعد أن هدأوا من روعه وأخبروه أنهم أهل القرية، حاولوا استفساره عن حاميم أخذ يصرخ الحَمَل الحَمَل الحَمَل الحَمَل أخذ حاميم، تم نقل عُبيد لمنزله وهناك كانت أمه المسكينة في حالة صدمه وذهول وخوف على ولدها الوحيد وتم إحضار طبيب المستوصف الدكتور عبد القاهر الذي فحصه وحقنه بإبرة مسكنة وقرر له بعض الأدوية والمسكنات وقطر الحديد كانت الساعة تشير لتمام الواحدة بعد منتصف الليل وبعد أن انصرف الأهالي وأصرت بعض العجائز للمبيت مع أم عُبيد ومواساتها في محنتها، استيقظت القرية على حادثة جنون عُبيد واختفاء حاميم وتدفق الناس من كل حدب وصوب تجاه بيت حاميم ليس لزيارته وإنما كان دافع الفضول ومعرفة قصة الحَمَل وكشف سر اختفاء حاميم وكلاً منهم يمُنى نفسه بإجبار عُبيد على البوح بمزيد من التفاصيل عن ماجرى ليلة البارحة، وحده شيخ القرية من أجرى اتصالات بمديرية أمن الراهدة وأرسل سيارة تقلهم للقرية للتحقيق والتحري حيث كانت تجري لديه شكوك قوية أن هناك دوافع جنائية وراء ما حصل لعبيد وحاميم ولينتزعوا من عُبيد بمعرفتهم وأساليبهم الخاصة معلومات تزيل هذا الغموض وليعيد الاطمئنان والسكينة للقرية ومعرفة مكان حاميم الذي اختفي مخلفاً وراءه كيس دعاية به بقايا قاته وولاعته وعلبة سجائرة

الزرقاء تبقت به خمس لفائف لم تشرب بعد وقارورة ماء بلاستيكية زرقاء شبه فارغة وشريط أقراص أمول مهدئه للصداع الذي يهب بعد كل نفحة قات تم استعمال ثلاثة أقراص منه، ومصباح يدوي أبيض بزجاج مشروخ استمرت التحقيقات يوما كاملاً امتدت لكل دار وبيت في القرية ولم يستثني المحققون أحدا حتى شيخ القرية والفقيه وفتشت شعبة الأدلة الجنائية كل شبر بالمقبرة وكل إسطبل بالقرية وفي مسجد الحاج مُحَمَّد والمخزن المرفق به والتابع له ومدرسة تحفيظ القران التي هي عبارة عن غرفة صغيرة تبعد عنه مسافة عشرة أمتار وأكثر مكان كثفوا فيه بحثهم وتفتيشهم كان منزل عُبيد ذلك الدار القصي الذي يشرف على المقبرة بغرفه المظلمة الواسعة وسراديبه السرية ومدافنه العميقة وارتسمت عليهم علامة الحيرة والذهول عندما وجدوا بعض العظام والجماجم داخل كيس بلاستيكي أسود كبير محفوظ بعناية تحت سرير حديدي صدئ في غرفة عبيد وعندها تأكدوا أن عُبيد يستغفلهم وأنه قاتل محترف وسألوا عن أصدقائه وأعداء مفترضين لحاميم وأي خلافات نشبت مؤخراً بينه وبين عبيد وعن سلوك عبيد وعبثاً حاولوا الحصول على معلومات من عبيد وإعادته لحالته الطبيعية وباءت كل محاولاتهم بالفشل عندها قرر المحققون إحالة عُبيد إلى مستشفى الأمراض النفسية لعرضه على طبيب نفسي لمعرفة حالته العقلية والنفسية والتأكد من سلامة قواه وفضح ادعائه وتظاهره بالجنون بقي سؤال أخير سأله فريق الأدلة الجنائية عن جرائم قتل أو اعتداء أو موت غامض أو حالات اختفاء مماثلة حصلت في القرية في الآونة

الأخيرة أو حتى منذ مدة طويلة لكن كانت حالة حاميم هي الحادثة الوحيدة التي حدثت عدا حادثة فردية حصلت وهي غرق حبيب وهو شاب غرق بسد القرية الكبير الذي يقبع في أقصي الوادي بين جبلين شاهقين ولم يتم العثور على الجثة إلا بعد أن لفظتها مياه السد بعد ثلاثة أيام وبدت متفسخة ومنتفخة، وهنا تقدم قحنان وبعد تردد نطق لديّ معلومة قديمة جداً سمعتها لحادثة حصلت بنفس المقبرة وبنفس المكان تقريباً تعود لخمسين عاماً مضت، أذن له الفندم صادق بالاسترسال قائلاً لا يوجد في علم الإجرام شيء بسيط أو تافه أو قديم فكل شيء مهما بدا تافهاً فهو هام في كشف الجريمة والوصول للجاني ازدرد قحنان لعابه وأكمل يقال أن هناك اختفي في هذه المقبرة لص مقابر يدعي جحبور وولده مهيوب الملقبين بالحَمَل وابنه نسبة لأسطورة الحَمَل الذي ينبش القبور ويأخذ الجثث بحملها فوق ظهره حيث اختفوا بالقرب من قبر أحد أثرياء القرية يدعي القبطان سعيد حيث كانا يهما بسرقة كفنه الفاخر وطقم أسنانه الذهبي واختفيا ولم يعثر لهما على أثر وهذه الحكاية يعرفها كل أهالي القرية وقد أبلغ الأهالي حينها عكفة الإمام الذين بحثوا بكسل ودون اكتراث لمصير جحبور وولده فضلا عن كونهم لا يمتلكون الخبرة الكافية وكان همهم الأكبر الحصول على أجرة العكف وقيدت الحادثة أنهما هاجرا لبلاد النصارى لكن الأهالي رفضوا رواية عسكر الإمام وفسروا الأمر على هواهم وهي أن الحَمَل هو من اختطف جحبور وولده وقد سرت حينها شائعة أنه شوهد في عدة مقابر بالقرى المجاورة، كان

الرقيب غازي مترددا هل يدون هذا الهراء الذي يهذي به قحنان بالمحضر أم لا عندما نهره الفندم صادق نعم دون كل ما يتفوه به الشهود الذين نستجوبهم والذين يدلون بأقوالهم مهما بدا غريباً ومنافي للعقل والمنطق عندما انتهي قحنان من سرده التفت المحقق صادق لشيخ القرية الذي بدأ مهموما ومحتاراً وطلب منه أن يجمع له كافة الرجال الكبار بالسن بالقرية ومثقفيها وذوي الرأي والحكمة فيها كان يريد أن يعرف بعض التفاصيل حول حادثة اختفاء جحبور الغريبة وما نسج حولها من الخيال لعله يجد خيط يقوده لحاميم كان المقدم صادق شاباً أسمر البشرة مثقفاً في الأربعين من عمره ذو خلق رفيع وشخصية مهابة تشعر بالرهبة من الوقوف أمامه لا تخلو من الاحترام والإعجاب فوق هذا وذاك قارئ نهم ومتميز لاسيما في مجال عمله وفي مجال الأدب وكان قد قرأ الكثير عن قصص الأساطير والعالم الغرائبي والخيال العلمي والقصص البوليسية لرواد هذا الفن الروائي من العرب والغرب لكن لم يكن يتصور أن الظروف سوف تحطه في قضيه هكذا وإن كان لا ينكر أن التحاقه بكلية الشرطة كان بدافع تلك القصص والروايات التي قرائها بطفولته وصباه وتأثره بها حيث شكلت وجدانه وألهبت خياله الفطري وغذت حماسه وشوقه لهذا العالم المثير والمتعب الذي يتطلب الأناة والصبر إلى جانب الحس البوليسي والفراسة وسبر أغوار شخصية المتهم أو المجرم والتحلي بالهدوء واليقظة الدائمة واستشعار الخطر واستكشافه لاسيما مع تفشي الجريمة المنظمة واستهداف رجال الأمن والضبط القضائي لثنيهم عن واجبهم الوطني

والتصدي للمجرمين، لقد ألقت تلك القراءات البذرة الأولى لمهنته هذه التي يجب عليه أن يكافح لأجلها وفك غموض هذا اللغز الغامض ومعرفة مصير حاميم حتى لو اضطر لكسر رأس عُبيد ومعرفة ما بداخله، أي جنون وحماقة هذا حَمَل ووحش، أنهم مجرمون يستخدمون نوع جديد من الأساليب للتمويه والتخفي وخداع الناس مازالوا يراهنون على جهل الناس ومعتقداتهم وخوفهم من الأوهام والقصص التي صنعوها ليشبعوا بها غريزة الجبن الفطري والإيمان بالأرواح والجن والأسياد والغيبيات والمجاذيب أنها عقدة النذور للأولياء الصالحين وحبهم وإيجاد المبرر لزياراتهم والتبرك والدعاء بهم والتوسل والعياذ بالله، نعم هو ما يحصل لأبناء هذه القرية

الشيخ

دعونا نعود إلى تلك الليلة الكئيبة التي نبش فيها عُبيد القبور وكيف سارت الأمور في اليوم الثالث للحادثة وقبل انطلاق عُبيد للمدينة لبيع الجماجم لطلاب طب الأسنان بأربعة أيام كان قد استيقظ باكراً عكس الليلة السابقة التي سهر فيها وكانت حافلة بالإرهاق والتعب والخوف والفزع والتخيلات بعد نجاح عبيد في ضم رفات ميتين في قبر واحد حيث باع القبر لأحد تجار القرية بمبلغ عشرين ألف ريال وبينما كان متكأ في ديوانه وعلامات الظفر والنشوة تتدفق من فمه مع رذاذ القات وهو يرحب بالمجتمعين لديه بكلمات غير مفهومة ومرتبة وإن كانت تفي بواجبات الترحيب عندما سمع صوت كطلقة المدفع ينبعث من تحت النافذة التي يتكأ بجوارها أطار نشوة المقيل ولذة القات وكان صوتاً مميزاً ومعروفاً يكرهه أهالي القرية الصالحون ويمقته عبيد بل كان يفضل أن يطل عليه وحش المقبرة ولا صاحب هذا الصوت الغير مرغوب، أربد وجه عُبيد وهو يطل من النافذة محاولاً أن يبدو متماسكاً وبشوشاً قدر الإمكان كان شيخ القرية يصرخ بغضب زاد من توتر عُبيد وارتباكه وبعثر تلك البشاشة المتصنعة لعبيد وهو يحثه على النزول لأمر

هام إلا أن عبيد سرعان ما استعاد سيطرته على نفسه وحلف يمين مغلظة أن يطلع الشيخ لشرب فنجان قهوة قشر بالزنجبيل رضخ الشيخ لحلفان عُبيد التي فاقت العشرة وصعد للديوان وحيا الحاضرين وعبثاً حاول إقناع عُبيد أن يظل على متكأه إلا أنه أصر أن يقعد الشيخ مكانه وكان يغدق عليه بالقات والقهوة والماء حتى كاد الشيخ أن يستحي من عرض الأمر الذي جاء من أجله، لكنه بعد تردد حسم أمره صلوا على النبي يا جماعه صلوا جميعاً على رسول الله إلا أن عُبيد زادها شرفاً وتعظيماً، وعلامات الخشوع والسكون ترتسم بوجهه اللهم صل وسلم وبارك ومجد وشرف وعظم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعنا ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميداً مجيد، الأمر الذي زاد من الحرج لشيخ القرية وكيف يواجه هذا الوغد المراوغ والمتشدق بالزهد والتقوى وأكمل بعد انتهاء عُبيد من الصلوات الإبراهيمية، لقد حضر إليّ العم سيف صالح وادعى أن القبر الذي باعه عبيد صباح اليوم للتاجر مانع قبر جدته سعود وأنه قد أخرج رفاتها وأخفاه بمكان ما أو ربما أخفاه بقبر آخر حيث يتهمه أنه ينبش القبور ويجمع كل رفاتين مع بعض ويبيع القبر الفارغ وأن كل القبور التي باعها لم يحفرها عدا قبرين أو ثلاثة والباقي منبوشة لأموات أقاربهم نزحوا للسكن بالمدن من وقت بعيد ولم يعودوا للقرية ويقول العم سيف صالح رغم السنين العديدة على وفاة جدته التي توفت وهو في العشرين من عمره إلا أنه لازال يتذكر قبرها جيداً وبداية كل شهر هجري يذهب

لقراءة الفاتحة على روحها وأرواح والديه وأهله المتوفين وسقي العشبة التي فوق قبرها وتفاجئ بالقبر قد تحول إلى لحد عليه علامة ببخاخ أحمر فوق صخرة تظله باسم مانع وهو يتهمك بانتهاك حرمة الموتى والعبث بالقبور وسرقتهم وهناك كثير من الأهالي لاحظوا أن هناك عمليات نبش عدد من القبور الأموات وقد قال البعض أنهم شاهدوك أكثر من مرة تحوم حول المقبرة فما ردك، اخزي الشيطان يا عبيد وقل أين رفات جدة العم سيف، وأعد لمانع ما أخذت من مال وسنلم الموضوع بيننا ونحن سنتدبر لك عمل إذا كنت تشتكي من البطالة إلا أن جدية الشيخ ومناوراته انصدمت ببلادة عبيد الذي ضحك بسذاجة وهو يصب مزيداً من القهوة في فنجان الشيخ الذي أزاحها جانباً هذه المرة وقد تحول الأمر لديه لحسم المعركة مع عبيد لصالحه وإجباره على الإقرار بنبش القبر لكن عبيد الذي تجهم وجهه وأسقط في يده هو يري أنه وقع هذه المرة لا محالة وأنه ودف في قبر لازال له ورثة وأهل وهو كان يعتقد أنه رمس قديم لا يعرف له صاحب أو صاحبه هجر القرية ولم يرغب بالعودة كالعشرات الذين باعوا أرضهم وتركوا ديار الآباء والأجداد تخرب وتنهدم بفعل عوامل التعرية وعدم السكن وأصبحت تصفر فيها الرياح وتشكي جحود الأبناء والأحفاد التفريط بتراث وذكريات الأجداد وبنو منازل في المدن واستوطنوا فيها وإلى الأبد، وستمر العملية بسلام كسابقاتها استجمع شتاته بصعوبة وارتشف جرعات من الماء بتوتر مستطرداً ياشيخ هذا خبر عقال وإلا مجانين أي شخص يجرؤ على المرور من القرية بعد صلاة العشاء

وانصراف الناس من المسجد فما بلك بالحفر والنبش الذي يستغرق وقتاً ويحتاج له قلب حديد ومجهود وإضاءة وكذلك ارتطام المعول وأعمال الحفر لاشك ستجذب الناس لمكان الصوت ولو من باب حب الاستطلاع بالإضافة إلى أنه لو صح كلام العم سيف صالح هذا الحاج الذي أحبه واحترمه ولا أدري لماذا يكرهني لأننا فقير وأنا وأمي مقطوعين من شجرة أم لأننا رفضت العمل معه بموسم الحصاد المنصرم لأنني منشغل بأرضنا وهناك من طلبني قبله بعد الفراغ من جني محصولي اشهدوا يا جماعة وأنزل من الجدار البندقية الجرمل العتيقة المعلقة فوق رأسه الملفوفة بأسمال غبراء بالية هذا عدالي على العم سيف صالح يتهمنا بالسرقة يثبت ذلك عليّ، أنا محكم الشيخ ومحكمكم، وزاد حماس عبيد عندما وجد الشيخ والحاضرون يحاولون تهدئته فبالغ في الأمر وألقى شماغه المنقش بالأبيض والأسود الذي يشبه الشال الشعبي الثوري الفلسطيني إلى صدر الشيخ وأنفاسه تتهدج ووجهه يحمر حيث وجد نفسه لا إراديا يتقمص دور المظلوم حتى أنه كان باستطاعته ومقدوره أن يبكي أيضا ولم يستطع إطلاقا تفسير الحالة التي اعترته وحلت فجأة حتى أنه كان خائفاً أنها أعراض مؤقتة ضخها الأدرينالين الوفي بجسمه لينقذه من هذا المأزق ويخاف أن تخونه وتتلاشي بأية لحظه وتفضحه أمام القوم، اهدأ يا ولدي يا عُبيد هكذا صاح الشيخ دون جدوى حيث كانت نفسية عُبيد وشهيته مفتوحة للآخر وأخذته العزة بالنفس لدرجة أنه كان يستشعر أنه يتفوق على أشد الممثلين السينمائيين براعة في التمثيل وأن لديه موهبة وقدرات كامنة لم يعرفها ولم يفطن

بها إلا هذه اللحظة الفارقة من حياته لحظة فضيحته وبراعته بالتمثيل والترافع ولينهي الشيخ من سورة غضبه أعاد فنجان القهوة الذي أزاحه من لحظات قلائل وشربه دفعه واحدة ووجه حديثه للجماعة تعالوا أنتم وعبيد بعد صلاة العشاء إلى منزلي لنواجه العم سيف صالح بعبيد ونرى ماذا سنقرر خاطركم وغادر المجلس الذي كان قد بداء حماسياً وتشوبه النشوة وخدر القات والدعابات وقد خيم عليه القلق والتوتر وأحس الحاضرون بحالة عبيد النفسية والهم الذي نزل عليه بثقله كالجبل وحاولوا التسريح عنه وطمأنته بالكلام وأنهم سيحضرون مجلس الشيخ وسيقفون لجانبه، ومر مابقى من الوقت وئيداً وكئيباً وبدا الحاضرون يتسللون من المجلس الواحد تلو الآخر وانفرط عقد المقيل وتناثرت حباته في أرجاء القرية كلاً صوب منزله بعد صلاة العشاء تقاطر كلاً من العم سيف صالح وبنيه ومانع وبعض أهله إلى مجلس الشيخ وكذلك عبيد وشلته كان مجلس الشيخ مبني على الطراز القديم عبارة عن غرفة طويلة مستطيلة تزينها عشرات القمريات الصغيرة بالزجاج الملون الزاهي وتنتصب في صدرها مرآة بنية ضخمة تعود صناعتها لأوائل القرن العشرين ويوجد بجانبي الجدار تجويف بطول مترين حشرت به المداعة (النارجيلة) وبالجهة المقابلة لها تجويف بنفس الارتفاع وبه رفوف رصت به بعض الكتب المجلدة والمجلات القديمة جداً التي لم تعد تصدر أو تسمع عنها أخر ساعة النهضة اليقظة الكواكب نصف الدنيا المصور روز اليوسف، صباح الخير، الشبكة والتي يعلوها الغبار وتكاد تغطيها اضبارات عدة مختلطة مزقت من بعضها ويبدو

أنها لم تقرأ منذ مدة طويلة وتدل على أن الشيخ كان قارئاً مطلعاً في شبابه، وفوق الفجوة مد سيخ حديدي عريض وقصير تتدلي منه بندقية قديمة وجوارها علقت خريطة زرقاء بداخلها مصحف يبدو من وضعيته أن الشيخ هاجره ويقرأه من رمضان إلى رمضان شأنه شأن كل المشايخ والمتسلطين والمتنفذين، الذين تتنزل عليهم السكينة والخشوع ويقبلون على البر والتقوى في هذا الشهر الفضيل وكانت أرضية الديوان مفروشة بحصير ازرق طويل وعلى جانبي الديوان مدت قطيفتان متوازيتان حتى نهايته ثم رصت بامتداد الديوان المتاكأ المكسوة بقماش ازرق وقرمزي لماع والمتورمة التي تبدو كأصلة زردت فأرا والمحشوة بنشارة الخشب وفوقها رصت نمارق حمراء مربعة صغيرة تشبه خبز المقصقص والقي الجميع التحية واخذوا أماكنهم وبدأت الأيادي تتسابق لا لشرب الشاي أو القهوة بل كل يسند مرفقه بأكبر عدد من تلك النمارق الضئيلة لينعم بمتكأ مريح ووضعية جلوس جيدة في حين تصدر الشيخ الزاوية أليسرى للديوان جوار نافذة واسعة تعلوها كوة عبئت عليها كراكيب وأشياء عدة وكانت بقعة جلوس الشيخ تختلف تماماً عن بقية الحضور من حيث كبر وحجم المتاكأ وفرش فوقه بطانية عريضة ناعمة وملساء وافتتح الشيخ السمر موجهاً كلامه للعم سيف صالح يا عم سيف الولد عبيد نفي وأنكر بتاتاً أن قد حفر قبر جدتك سعود سعد رحمة الله عليها وقال بأنه حفر القبر وتعب فيه وهذه هي مهنته وقد باع الكثير دون مشاكل أو شكوى من أحد والكل يشكر فيه لأنه يقدم خدمه للناس بعد موتهم حيث لا أحد يطيق

هذه المهنة الشاقة والمتعبة والمنبوذة كما أنه يقدم خدمات ما بعد بيع القبر يشارك في الدفن والتلحيد وردم التراب وصب الاسمنت فوق القبور وهذه الأخيرة مجانية إلا إذا أصر أهالي الميت عن إعطائه نقود إكرام للميت فإنه يقبل، فما قولك في ذلك كما أنه قد حكّم عليك أنك تقذفه بسرقة القبور وهذه للأمانة كبيرة وتحسب عليك يا تثبت عليه يا تقصده، صاح العم سيف محتجاً سارق مبهرر كل أهالي القرية يعرفون من هو عبيد ولا أدري ما سر خنوعهم وخوفهم وسكوتهم عليه حتى أنت ياشيخ أتحداك أن تنكر أنك لا تعرف أنه لص قبور ونباش (حَمَل) تناول الشيخ من الكوة مسبحة بنية بكرات خشبية دائرية محرقة واستغفر الله بصوت مسموع إن بعض الظن إثم ياعم سيف وكم من الإشاعات سمعناها بهذه القرية التي تفرح بالإشاعات أكثر من الفرح بنزول الغيث، هل تنكر أنت أيضا أن قريتنا تحب الإشاعات وتترقب بفارغ الصبر سماعها وتتناقلها النسوة والصبية بجذل ومتعة وأنتم الرجال لا تخلو مقايلكم منها إذ تمضغونها مع القات وتلوكونها في طرقاتكم وفي حقولكم رد العم سيف محتداً أحلف بالله أنه قبر جدتي سعود سعد وبإمكانكم سؤال معمري القرية وشيوخها اسألوا حمود عايش وإلا محسن عيشة وإلا الحاج عبد الولي وإلا القاضي وإلا الفقيه ياسين عبد العظيم رد الشيخ قد سألناهم جميعاً وهذا الفقيه قدامك قالوا لن يحملوا ذمتهم ولا يتذكرون اللي قبروا بالسنة الماضية فكيف سيذكرون قبر جدتك التي ماتت قبل أربعين سنة رحمة الله عليها ولكن لتطمئنوا جميعاً وحتى لا يضيع حقك أو حق عبيد ونهض قائماً

واستطرد وهو يتناول الخريطة الزرقاء التي بداخلها المصحف الآن يحلف كلاً من عبيد والعم سيف وقبل أن يتم كلامه كان عبيد قد خطف الخريطة التي بها المصحف وقبلها ووضعها فوق جبينه قائلاً ياشيخ أنا مستعد أحلف فوق حالي ومالي وأمي المرأة المسكينة الوحيدة التي تخدم كل القرية لو يقتنع العم سيف يبدو أن حركته قد أتت بنتيجة جعلت العم سيف يحسبل ويحوقل ويقول الله خبير بعباده وهو العدل خلاص لا داعي لليمين، وأنا متنازل عن حق جدتي سعود سعد رحمة الله عليها لندع المسكينة ترقد في تربتها التي لم نعد نعرف مكانها ولم يترك له عبيد مجالاً للتراجع ونبش الموضوع بل صاح الفاتحة إلى حضرة النبي وأله وروح الجدة سعود سعد قرأ الجميع الفاتحة وهم يكبرون هذه الأخلاق والأصول من عبيد الذي كان على أعماله الشيطانية بحفر ونبش القبور وسرقتها إلا أنه كان ذو لسان حالي يقطر عسلاً ومتملقاً ويحسن فن الإطراء والمجاملات وجد الشيخ الفرصة سانحة لإتمام ترتيبات الصلح فأطلق مدفع صوته هادراً، عطروا فمكم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لدرجة أن عبيد وشخصاً آخر بجواره كانا يهمان بارتشاف فنجاني قهوة فزهم الصوت الأجش ودلقاها فوق ملابسهما اللهم صلى وسلم وبارك عليه رددها الحاضرون في حين التفت عبيد مازحاً ومعاتباً للشيخ لو سمحت يا شيخ وطي صوت الميكرفون قليل، حاضر يا عبيد أنا بنقص صوت الميكرفون وأنت أتمنى تعقل وتهدأ يا عبيد لأجل أمك المسكينة وكفايتها فجعتها عليك اليوم ربما القبر ضمن مئات القبور المتناثرة

المزدحمة بهم المقبرة يصعب تمييزها وأتمنى من الأهالي بل هو رجاء خاص ألا يعيروا أذانهم للشائعات وأظن قد جاء الوقت الذي نعمل حداً لهذه الآفة والعادة السيئة وننقي ضمائرنا ونفوسنا ونخلص نياتنا وأنا قد ذهبت إلى عند قيوم المقبرة واطلعت على سجلات القبور وللأسف الشديد ليس قبر جدتك سعود سعد لكنه قبر هزاع دحان وهو جد جد أم عبيد وهو يعتبر من الورثة وإن كانت القبور لا تورث لكن سأعتبر هذا آخر إنذار لعبيد واشهدوا عليه يا جماعة ولا نريد الفوضى والشائعات والخبر يزيد داخل القرية ويصل للمركز ورد عبيد وأنا كذلك أتعهد بالحفر بعيد عن القبور القديمة غلطة يا شيخ أنا حفرت وكنت أحسبها منطقة فضاء توبة ثاني مرة سأكون اسأل القيم على المقبرة، والمسجد أين أحفر قد ستر الله وجاءت بقبر جدي هزاع دحان ومسامح العم سيف وهذه رأسه أقبلها أذا بدر مني كلام أو تفوهت بخطاء في حقه والسماح لأهلي وناسي أبناء القرية إذا اخطأت عن غير قصد، هم الشيخ بالكلام وكمن تذكر شيئاً قال بصوت خفيض أكملوا سمركم وعفا الله عما سلف

وجهاً لوجه

تلك الليلة التي جن فيها عبيد، اختنقت ضحكة حاميم وأربد وجهه بشدة وتلاشت كل الألوان من وجهه واكتست حول عينيه هالة من السواد واللتان جحظتا برعب وكادتا تقفزان من محجريهما عنوة كمن رأي شيطاناً لاحظ عبيد ذلك الفزع الذي اعترى حاميم وكسا وجهه وظن أن حاميم يخوفه ويمزح معه كما هي عادته عندما يكون رائق المزاج ويشتم الهواء النقي بعد المقيل، وبالذات بعد تلك الضحكة المجلجلة التي أيقظت الموتى من قبورهم ومن ثم اختنقت ضحكته وتيبست شفتاه وجف لعابه وجاهد ليصرخ صرخة قوية ارتجت لها المقبرة ولن ينساها عبيد طول عمره اااااالحَمَ مَمَم مَل وارتفعت يد حاميم المتشنجة والمتسمرة من الرعب بصعوبة بالغة وهو يشير إلى نقطة ما خلف عبيد شاهد عبيد ما ألجم لسان صاحبه وجعله بتلك الحالة المزرية لقد كان وجهاً لوجه أمام الحَمَل، وبعينين خاويتين، بحَلق عبيد بذلك المسخ المخيف الذي بقامة الإنسان وأشبه بقرد كثيف الشعر بثمان قوائم أربع اذرع وأربعة أقدام كأنه توأم سيامي وبتلك العينين الواسعتين الخضراوين الجاحظتين اللتان دون أجفان كأنهما عيني سمكة تونة كبيرة

كان الكائن البشع ذو الأيدي الأربع المعوجة والمثنية للخلف والقوائم الأربع التي تنتهي بخفي أشبه بخفي جمل وقد تشبثت يداه المعوجة بجثة ميت بكفنه يحمله فوق ظهره وقد أطبق عليه بقوة حتى يكاد يحطم أضلعه واستمر يمشي الهويني بطريقه دون أن يعيرهم أدنى اهتمام وكان يصدر منه وهو يمشي صوت أشبه بوسواس الذهب كانت الفرصة مواتية لحاميم وعبيد الذي فقد صوابه واعتراه خوف عارم سمر قدماه بالأرض للتسلل لواذاً والهرب بعيداً عن الحَمَل لكن الظهور المباغت للحَمَل والرعب الذي دب فيهم، شتت تفكيرهم وأربكهم وجعل حاميم لا أرديا ينتزع عود يابس من احدي الأشجار ويوجه مصباحه اليدوي نحو عيني الحمل واحتضن عدداً من الحجار وهو يحث عبيد للتسلح بالحجارة وهجم على الحمل الذي تلقي خبطة قوية بالعود الذي انكسر ولم يفت فيه أو يؤثر بالمرة وكأنه ارتطم بصخرة صماء ليفاجئ بدورانه حول نفسه بسرعة جنونية أدت إلى صنع دوامة وإعصار ونفش الأحجار وهواء حار كريه أثارت الخوف في قلبيهما وأطلق حاميم تلك الصرخة المفجوعة التي دوت بأرجاء المقبرة وشقت سكون الليل ليسمعها ابن عمه قحنان في المزرعة بالوادي هزت تلك القوة الرهيبة للوحش والرغاء الصادر عنه، كيان حاميم وعبيد وشتت تفكيرهما وزادت من وطئت رعبهما وتضاءل فرص الفرار والنجاة وتمنى حاميم لو كانت بندقية المترس الكيلاشنكوف الآلية معه لأردي هذا الحيوان المستعرض لقوته قتيلاً لكن أين للأمنيات في هذه المواقف الحرجة مكان، هدأ الإعصار الذي صنعه الكائن والذي

طوح بعبيد، الذي كان قد بلل بنطاله وتلطخ بالوحل والقاذورات وعبق المكان برائحة روث إنسان وصار بموقف لا يحسد عليه وارتخت كماشات الوحش الأربع القابضة على تلك الجثة بلوح ظهره وقبل أن يرخي قبضاته على الجثة التي على ظهره وهو يفكر بأمراً ما وبينما هو يحسب حساباته المبهمة تلقي ضربة حجراً قوية من حاميم لم تفت فيه وإن كانت أثارت غضبه وقفز بسرعة البرق ليستقر خلف عبيد يشممه ثم تركه وتشمم حاميم ثم كشر وفتح فمه لتبرز أسنانه الحادة والكبيرة ويخرج بخر فمه الكريه وكأنه فتحت ثلاجة موتي انقطعت عنها الكهرباء من مدة طويلة وتتكدس بها عشرات الجثث لتهب تلك الجيفة من فمه لتصيب حاميم وعبيد بالإغماء هذا إن لم يكن الاختناق والتسمم بتلك الجيفة الخانقة التي تعادل قوة غاز الخردل وسيطرة غاز السارين وأشد فتكاً بالجهاز العصبي والتنفسي لكل ماهو كائن حي، أقوى من كل غازات الأعصاب طار بالهواء وبلمح البصر انبثقت يداه الملتفة لتحمل حاميم بخفة فوق رأسه وتلفت حوله بهيجان كأنه رباع اولمبي يحطم رقم قياسي جديد بحمل أثقال جديدة ثم يطوحه عالياً في الهواء ليستقر فوق عشب المقبرة جثة هامدة وحملها فوق ظهره مع الجثة الأخرى ويطبق عليهما معاً بكماشاته ذات المقارض المعقوفة الصلبة والمميتة ومن ثم يدور حول نفسه بسرعة فائقة كأنه مروحة طائرة عمودية مسرعة ليخلف مثار نقعاً غطي المكان و ينطلق بسرعة مهولة نحو المجهول ويرحل ومعه جثة حاميم ابن الحاج عبدالجبار تاركاً ورائه عبيد الذي قضي حياته في المقابر أميراً للخوف وسيد

الليل ونباش قبور متواضع بنصف عقل، حبيس هلوسته وهذيانه وحمى أكلت جسده وغزت كل أوصاله وكادت تصله إلى موتاً محقق وأحدثت اختلالاً في وظائف الجسد وصارت أعضائه تعمل خلافاً لصحة الفرد وتحكماته بجسمه حيث صارت لا تستجيب لأوامر الدماغ مركز التحكم بالجسم، وصارت كالمذياع الذي مسه شرت لا تستطيع التحكم بموجاته ولا صوته ولا إسكات تلك الحشرجة اللعينة أو حتى إغلاقه وكان ذلك آخر ماراه عبيد أو بالأحرى تلك الكتلة البشرية المتبقية من عبيد والتي ما زالت تنبض بحياة وأصبحت حطام إنسان ينتظر معجزة إلهية للتعافي والعودة حتي إلى نصف ما كان عليه من العافية وموفور الصحة، كان مصرع صاحبه ودفن صديقه الحميم بتلك الصورة البشعة فوق تلك الظهر الخبيثة التي رحلت به، فوق كل احتمال ولم يعد بتلافيف المخ وتعاريج المخيخ متسع لعقل ومكان لذي رشد كفيروس أرسل لجهاز كمبيوتر وضرب الذاكرة الرئيسية للنظام وشل قدراته على العمل وعجز عن الإقلاع ولا حيلة لإصلاح العطل وتشغيله إلا بفرمتت الجهاز لتتمكن من الاستفادة منه ولكن مع فقدان كافة البيانات والمعلومات التي احتفظت بها بالجهاز وليس لديك نسخة آخري محفوظة منها حيث سيكون بإمكانك إعادة استعمال الجهاز لكن ببرامج وبيانات ومعلومات آخري جديدة أقل كفائه وأهمية لديك مما فقدته وربما لا تمثل لك أي قيمة معلوماتية وعملية هذا هو ماجري لعبيد لقد صار ذلك الجسم الذابل والذي انتهت حياته التي بدأت غريبة نهاية اغرب ولأنه عبث

بالمقابر وانضربت ذاكرة دماغه بالمقابر أيضا، فكما يقول المثل الشعبي اليمني نهاية المحنوش للحنش فالنباش الفالصو انتهي على يد النباش الحقيقي وليس مجرد لقب اكتسبه نتيجة حفر بضعة قبور إن نبش القبور وسرقتها من كبائر الذنوب وجسد الميت عورة يجب سترها وعبيد تمادى كثيراً وكان أولى به أن يعتبر وهو يزور المقبرة ويعلم أن ذلك مصيره، لكنه كان قد شب عن الطوق وهو يسرق ولا يحب سرقة أي شيء إلا القبور ومن شب على شيء شاب عليه والعلم في الصغر كالنقش في الحجر كان يردد دائماً أمام قلة من أصدقاء الموثوقين " أنا سمسار عقارات ولست نباش أنا أقوم بتأجير هذه المنازل لمن حانت ساعة رحيلهم تماماً كسمسار المنازل ومن ثم يترك المستأجر البيت وينتقل ليحل آخر محله وهكذا القبور متى حل معاد خروج المستأجر للقبر والذي تم استئجاره بالماضي من سمسار آخر يقوم مقامي أجيء أنا بالوقت الراهن وأخرجه وأوجر القبر لآخر"، هاهي حكمته العقيمة المبتورة والجوفاء ردت عليه، وتحديه للخوف يقوده للخوف ذاته بطريق محفوف بجنون الخوف وفي أعلى مستوياته وأقسى حالاته لتصدق تلك المقولة التي سمعها ولا يدري من قائلها وظل يرددها دائماً باستمرار كالببغاء بزهو وصلف وغطرسة وكأنه هو قائلها ليس هناك ما يخيف إلا الخوف ذاته

القَبر الملعون

تقرفص الحاج قاسم على نفسه وبدت منه تنهيدة حارة وهو يقول كنت متأكدا من أنه سيعود وأن لديه بين القبور بيتاً أو عشاً نعم هناك قبر مجهول يمثل أهمية للحَمَل وهو لاشك جوار قبر الحاج سعيد رحمة الله عليه حيث ظل ذلك الوحش يحوم لسنوات ولكن حراستنا للقبر لسنوات واستعمال البنادق المزودة بالذخيرة والإضاءة وإشعال النار التي يخاف أورها اجبره على أن يبني عشاً آخر في مكان مجهول في أقاصي تلك الجبال الشاهقة والنائية والتي يصعب الوصول أليها وتسلقها وأشار بعصاه الي جبال تقع في امتداد البصر خلف القرية إن جحر ذلك اللعين يوجد هنا أو بالأصح بيته اللعين لقد كنت أدرك منذ زمن إنه هو من قتل جحبور وولده وانه حقيقة وليس خيال أو خرافة لكن بالرغم من الجهل والتخلف الذي يضرب أطنابه بالقرية وكان الناس من السذاجة والجهالة ما يجعلهم يصدقون كل ما يقال ويشاع لدرجة أن الناس عندما بدأت تلتف لأولئك الضباط الأحرار والناس المتعلمين والمتنورين كالأستاذ النعمان والزبيري والفريق حسن العمري والسلال والفضيل الورتلاني وكان جزائرياً يحب اليمن و عبد الله عبد الوهاب

نعمان وعبد الغني مطهر وكان تاجراً من أبناء الأعروق ضحي بماله وثروته لأجل الثورة ومساعدة الناس للتحرر من التخلف والجهل والأمية والالتحاق بالثورة، خاف الإمام حينها وأراد أن يتأكد هل صحى الناس ولقت تلك الدعوات صدي في نفوسهم فأشاع بأنه سوف يقع مرض جلدي خطير يؤدي إلى تفسخ الجلد وموت صاحبه من شدة الحك والمرض ومن يتقطرن ويطلي جسده بالقطران سوف ينجو ولن يصيبه المرض ،وأحدثت خطبة الأمام التي ألقاها في ميدان العرضي في تعز وألقاها صهره الكحلاني بميدان شرارة بصنعاء مفعولها ولم يحل المساء إلا وقد طار الخبر إلى تهامة وإب ومأرب وحجة وصعدة وبقية المدن وأقبل الناس يشترون القطران ويطلوه بأجسادهم حتى صارت البلاد لا تطاق بفعل الريحة الكريهة الحادة وكأنها زفارة سمك وصار منظر الناس بالشوارع أشبه بسوق لبيع العبيد عندها جحظت عينا الأمام المخيفتين والواسعتين وفتح شدقيه بفرح عارم وصاح سوف احكم هذه البلد عادنا مائة عام، بالرغم من ذاك كان هناك مناطق واسعة من اليمن ترفض فكرة وجود الحَمَل ولا تؤمن بوجوده حيث كانوا يؤمنون بقوة احمد يا جناه فقط ولا يصدقون بوجود حَمَل وكانوا يرو أن احمد يا جناه كفيل بطرد الأشباح والغيلان وان جنه تهزم قوى الشر الخفي هذا الإيمان العميق جعلهم ينبذون فكرة وجود الحَمَل وعدم التصديق بوجوده وليس وعياً وذكاء وتفتح قد حصل لهم، وكانوا يخافون أن يعلم الإمام بخوفهم واعتقادهم بوجود قوة وسطوة أخري يهابونها غيره، لكن رغم ذلك ظلت بعض المناطق تحرس موتاها لاسيما من

نجمهم أو برجهم كما تقولون الحَمَل وكانت فترات الحراسة تقتصر على الأسبوع الأول للمتوفى وأحيانا تمتد حتى اليوم العاشر الذي يسمونه عاشور ويوزعون فيه أقراص من الخبز البلدي المجفف على روح ميتهم وتجاوز مرحلة الخطر لمرور الحَمَل ،وقد عاصرت بعض من رأوه من قريتنا والمرحوم عبد الحبيب الجرفي والذي عمر طويلاً وتوفي عن عمراً ناهز مائة وعشرون عاماً يقال انه شاهده وكاد الحَمَل يفتك به لكن لأنه كان قد أضرم نار كبيرة ووزعها حوله و الحَمَل حيوان ليلي يحوم الليل يختبئ النهار والنار تؤذي بصره وقرنيته لا تتحمل الضوء الباهر، فانه قد هرب محدثا ورائه عاصفة من التراب والرمل اللذان أثارهم وهناك العديد من كان يحس بمروره وفحيحه المخيف الذي يشبه وسواس الذهب وحشحشة الزرع اليابس لكن دون مشاهدته فقط الإحساس بمروره ،توقف الحاج قاسم هنا عن الكلام وكان يتعرق ويتنفس بصوت مسموع كأنه كان موجوداً بخضم تلك الأحداث التي مرت به في السابق وليس يرويها ،مد له الفندم صادق بكوب ماء شربه دفعة واحدة بيد مرتعشة وبدأت أنفاسه المتسارعة تخف ويهدا وبصوت لطيف خاطب صادق الحاج قاسم أريد منك أن تحكي لي كل ما تعرفه عن الحَمَل وهل هو حقيقة أم خرافة أم حيوان هجين ومن مِن سكان القرية من شاهده لازال على قيد الحياة وأحكي لي بشكل مفصل عن ليلة اختفاء جحبور وولده وهل تتذكر انه كان يخاف من شيء ما أو له عدو وهل من إشاعة أثيرت حينها عنه أو عن المقبرة، أفتر ثغر الحاج قاسم بابتسامة عريضة واطرق للأرض كمن يسرح بخياله

ويعود للوراء وأخذا ينبش بذاكرته ويقلب في صفحاتها ومن ثم مسح لحيته البيضاء المصبوغة بالحنة كمن عثر على الصفحة التي سيقرأ منها، قلت لك كنت متأكد من أنه سيعود ذلك الحَمَل اللعين ليلة اختفاء جحبور وولده خرجت كل القرية تبحث عنهما كنت حينها شاباً فتياً قويا أتفجر شباباً وحيوية أرفل في ثوب العافية وكان وقتها عمري الثمانية وعشرين عاماً على ما اذكر كنت ضمن من خرج للبحث عن جحبور وولده انطلقنا نهاراً نبحث عنه في المقبرة أولاً وركزنا البحث عند قبر الحاج سعيد رحمه الله ذلك الرجل الصالح الذي لا زالت بصماته وخيراته على القرية إلى الآن وأقام العديد من خزانات المياه وساعد طلاب العلم وعالج كثير من المرضي على نفقته كان رجلاً بمعني الكلمة تنقل كثيراً شقي وكدح ومات وحيداً لم يتزوج ولم يعلم له أهل كلهم ماتوا في حياته حتى زوجته وأبنه اللذان توفيا بحادث سيارة في لندن وشكل ذلك صدمة قوية له وأزمة نفسية جعلته يحجم عن الزواج ويخاف إن تزوج وأنجب تختطفهم يد المنون وضلت ذكرى أسرته تؤرقه وتقض مضجعه وكثيراً ما كان يتصدق لروحهم وأسمى كل خزانات المياه باسمهم ونذرها لروحيهما الطاهرتين النقيتين كروحه ألف رحمة ونور وسكينة تغشاهم جميعاً، أبناء الجنة هكذا يوجعنا الموت برحيل الطيبين ويكدرنا بغيابهم المؤلم،بحثنا طويلاً جوار القبر وبين القبور وفي المسجد وبين الأعشاب وفي المغارات وكهوف القرية والآبار والسدود والتلال وسئلنا وبحثنا في القرى المجاورة حتى الراهدة وحيفان ودمنة خدير والصلو وسامع وامتد البحث حتى الشريجة وكرش ولحج

ووصولاً إلى بندر عدن وبندر تعز لكن دون جدوى، وكأن جحبور الخبيث فص ملح وذاب فكما أتعبنا بشقاوته بحياته واتعب موتانا بنبشه أتعبنا أيضا في وفاته وكأنه يأبى إن يتركنا ويرحل بسلام أي إنسان هو هذا الشخص التعس كنت وأنا فوق قبر المحسن الكبير سعيد أقرأ الفاتحة وأدعو له بشأبيب الرحمة تغشاه كانت تثقب رأسي وذاكرتي وتنخرها فكرة الحَمَل ولم يكن من سبيل لإيقاف ذلك الطنين والصداع بدماغي إلا تقبل الفكرة ولأن الحَمَل حسب الأسطورة حيوان ليلى لا يخرج إلا ليلاً كان لابد من تنفيذ تلك الفكرة التي بدت لي سخيفة وحمقاء وكنت اعتزم تنفيذها فقط من باب الاقتناع والتخلص من فكرها ووسواسها إلى الأبد، نعم كان الخروج ليلاً لمراقبة الحَمَل وصيده ليس عن إيمان ويقين بوجوده بل لأطرد تلك الأفكار والهواجس من دماغي بالمقام الأول وبالمقام الثاني ذلك الإحساس الفطري بداخلي أنني ساجد شيئاً يتعلق بالاختفاء ولم يكن ذاك الإحساس تجاه الحَمَل إطلاقاً، صليت العشاء بمسجد الحاج مُحَمَّد حيث تقع المقبرة وألقيت نضرة على قبر الحاج سعيد وكأننا كنت أحاول ترهيب نفسي و إقناعها بالإحجام عن تلك المغامرة الغير مبررة وانطلقت أحث الخطي نحو المنزل تناولت عشاءي وقضمت وريقات من القات على عجل رحت احشي فمي حشواً دون مسحها ونزع عيدانها وكنت الفض العود الذي يستعصى عليا مضغه بأسناني القوية كانت ليلة النصف من رجب وقمر ١٤ يشع بقوة كأنه نهار وضوئه الفضي يرسم وجه القرية بحلة بهية وقد بدد وحشة الليل وظلمته وشعرت بجمال

الليل وهدوئه وصفاء القمر وشعرت بانشراح وراحة بال ربطت رأسي جيداً بعمامتي السوداء الغليظة ذات الأطراف المجدولة مخافة الإصابة بشقيقة القمر وأخذت خنجري الطويل الذي يزينه مقبض على شكل وجه إنسان وأخذت معي هراوة طويلة غليظة برأس مدببة ومنتفخة بقدر قبضة اليد وكانت شائعة أيامها موضة تلك الهراوات وكنا نسميها أيامها الصميل وتمنطقت بجنبيتي وأخذت معي زمزميه ماء وقاتي وفانوس صغير ملأته بالجاز وذهبت صوب المقبرة وقبعت تحت شجرة الزينة الباسقة التي تشرف على قبر الحاج سعيد وبدأت أتناول قاتي بهدوء وروية هذه المرة امسح الوريقات وانزع عنها العود وأحطت الفانوس بثلاثة أحجار لئلا تطفيه الريح ونصبت حجر ضخم اتكأ عليه وظهري مستند للشجرة وضلت عيناي على القبر ،وكنت أتحسس الخنجر واعبث بهراوتي وأهزها في الهواء واشعر بالاطمئنان مضت ثلاث ساعات ولم الحظ شيئاً ونفد القات من الكيس وأنا على هذه الحالة وبدا البرد ينخر عظامي ولم تحول دجلتي الصوفية الطويلة دون وصوله ،هنا قاطع المقدم صادق الحاج قاسم عفواً يا حاج قاسم فقط بس ممكن تقول لي من أين تمتلك هذه الثقافة وكيف تعلمت وكما عرفت انك من مدرسي القرية الأوائل وقد فرضت الإمامة العزلة والانغلاق على اليمن وكان الذي بالقرى في أمية وظروف أصعب بكثير من أصحاب المدن والتعليم كان شبه معدوم ،رد قاسم سريعاً تلقيت التعليم أولا في الكتاتيب على يد الفقيه الشويع ومن ثم انتقلت لتعز للدراسة بالمدرسة الاحمدية في تعز التي أنشئها الإمام يحي عام١٩٢٨م والتي حلت

محلها حالياً مدرسة٢٦بتعز والواقعة بشارع٢٦سبتمبر فوق السائلة ومن ثم واصلت تعليمي المتوسط بمدرسة بازرعة في عدن وعدت مدرساً بالقرية وكان يدفع راتبي حينها أنا وثلاثة مدرسين آخرين بمدرسة القرية الحاج سعيد الذي أنشاء المدرسة من ماله الخاص ،هذا الرجل الذي لا نستطيع أن نوفيه حقه وكم كنت أتمني من الدولة أن تطلق اسمه على احد الشوارع في تعز، وعاد الحاج قاسم لإكمال قصته عندها قررت أن أقوم بلفه أخيرة حول المقبرة ثم أقفل عائداً للبيت وقبل أن الملم أشيائي سمعت أصوات مبهمة مجهولة كحشحشة الزرع اليابس أو حفيف ثوب جديد أو وسواس الذهب ثم بدت تلك السحابة الكثيفة من الغبار والتي نزلت من الجو أ أو اندفعت من جوف الأرض ،وكنت اعتقد انه شهاب ارتطم بالأرض وحجبت عني ضوء القمر وأشعته الفضية التي كانت تبعث الأنس والاطمئنان في قلبي أظلمت الدنيا تماما بالذات مع مرور سحابة حجبت القمر وتناهي إلى سمعي أصوات أقدام كأنها حوافر خيل أو أقدام إنسان يجري وصوبت نظري نحو قبر الحاج سعيد ولم أجد شيئاً غير طبيعي وقبل أن يرتد طرفي ،هناك عند القبر الذي أسفل منه حيث يفصله ذلك المنحني البسيط والأعشاب المنتشرة كان هناك، لقد خرج من ذلك القبر المجهول الذي لم يكن احد يعلم هو لمن ومن قبر فيه كان يتثاءب ويتمطى بأربع أيدا طويلة كان بقامة الإنسان يغطيه شعر كثيف ولديه أربع أقدام ولم أميز وجهه لأنه كان يوليني ظهره وهبت رائحة جيفة من جهته كدت أتقيء بأمعائي من شدت كرهها سرت القشعريرة باردة وقوية في جسمي

وبردت أطرافي وشعرت بحرقة في المعدة ورغبة في التبول وانتصب شعر راسي بقوة ،لم أعهدها من قبل حتي شعرت بفروة راسي تكاد تقتلع من جذورها ولم يفلح الخنجر الماضي والهراوة الغليظة والفانوس الشاحب من تهدئة روعي وتبديد الخوف الذي تلبسني وتذكرت جحبور وولده واختفائهم وبحثنا عنهم وطاف في ذهني خاطر البحث عني بعد أن يمزقني هذا الوحش ويسحبنا إلى جحره اللعين في الأسفل، كانت الحرقة تزداد في معدتي كأن احدهم صب عليها حمض كبريتيك واشعر بالغثيان ووجدت نفسي غصباً عني ارمي بالقات من فمي وأتقيأ بسبب الرائحة النتنة المنبعثة من الوحش والذي التقطت أذناه المفلطحتان والشبيهتان بإذني حمار وحشي أو بعير ،صوتي وأنا أتقيأ والتفت للخلف وتبادلنا النظر والتقت عينانا

الغرفة رقم ١١

١٥آب٢٠١٠م نشرت صحيفة نبأ الحوادث وهي صحيفة نصف شهرية متخصصة في عالم الجرائم والحوادث الغريبة والعجيبة فقط وكثيراً من الناس يتهمها بفبركة الأخبار وتأليفها لكسب مزيداً من القراء والإعلانات والأرباح ،تحقيقاً مطولاً عن عبيد وعن الحَمَل وكيف اختطف زميله ونجا هو وإن كان سيقضي بقية حياته فاقداً للعقل مجنون والذي ظهر بقرية جبل الحاج ذلك الجبل الذي يعد من الجبال الشاهقة في تعز ويكاد يضاهي جبل صبر ارتفاعاً وشهره وقد ذكرت عدد من الأساطير اليمنية بين الحقيقة والخيال كالبدة والجرجوف والجبرت والدجرة وحكايات وخرافات من الذاكرة الشعبية اليمنية، ونشرت صورة كبيرة لعبيد بسرير المرض وهو في حالة شحوب وزائغ البصر أشعث الشعر يبدو أشبه بحطام إنسان وفوقه صورة متخيل لكائن خرافي مسخ بشري يقصد به أسطورة الحَمَل وقد بدا واضحاً انه تم أخذها من الجوجل من أحد بروموهات أفلام الرعب، تلقي الناس خبر الصحيفة والتي جنحت في كثير من الأحيان إلى دبلجة الأخبار لإيجاد مصادر ومواد جديدة لصفحاتها وكثيراً ما كانت تلتقط من المواقع الإخبارية العالمية

أحداث تقع في بلدان غربية وأسيوية وافريقية بعيدة وتحرفها على أنها وقعت في اليمن، لذا لم يكترث الناس كثيراً لخبر الحَمَل وقصة عبيد ولولا تاريخ الصحيفة المشين والتي أحجم الناس عن قراءتها ومازالت مستمرة والذي يدل على أنها صحيفة مدعومة ومسنودة، ولكن الخبر تم نشره بصحيفتين أخريتين حيث تطرقتا إلى كون الجريمة جنائية وربما يقف خلفها عبيد الذي أصيب بلوثة أجبرته عل قتل صديقه وربما وحش بري مفترس، وهو ما شكل صدمة لعبيد جعله يفقد عقله وهنا تابع الناس الأمر بفضول وبدأت القضية تستحوذ على اهتمامهم، ظل عبيد يتلقى العلاج بمستشفى الأمراض النفسية الواقعة بمنطقة الحصب وذات يوم وبعد عشرين يوماً من وصوله للمستشفى كانت احدي الممرضات المشرفة على متابعة حالته تهرع إلى الطبيب المناوب المسئول عن الحالة والذي كان مشغول في متابعة التلفاز يشاهد برنامجه المفضل المصارعة الحرة ،ودلفت الحجرة انزعج الطبيب وهو يخفض صوت التلفاز ويلتفت إليها قاطباً جبينه وهو يتوقع حدوث انتكاسة وهيجان لأحدي الحالات هكذا عوده عمله طوال سنين في المستشفى، عفواً يا دكتور: كل يوم عندما تحل الساعة الثامنة مساء يترك عبيد السرير ويتوجه إلى النافذة التي تطل على الوادي ويردد بصوت خافت الحَمَل الحَمَل وهو يشير بسبابته اليمنى إلى الوادي أخذ الطبيب سماعته الطبية وأمر الممرضة بإحضار جهاز قياس الضغط ودق رقماً داخلياً انتظر حتى سمع صوت محدثه على الطرف الآخر شرح الدكتور الأمر بإيجاز لمندوب البحث الجنائي وأغلق السماعة وتوجه بمعية

الممرضة إلى الغرفة١١ حيث يوجد عبيد وهناك وجد عبيد مازال يتمتم ويهذي الحَمَل، أعاده للسرير وقاس ضغطه ونبضات قلبه حيث كانت تشير إلى وضعه الطبيعي ولا مؤشر لحدوث مضاعفات وجه للممرضة تعليمات بتدوين كل كبيرة وصغيرة بسجل الملاحظات بالذات لهذه الحالة ودون بضع كلمات في السجل المعلق بقوائم السرير الأمامية، في اليوم التالي والذي كان صاقعاً والسكون والهدوء يلف المستشفى التي أطفئت معظم أنوارها وغرقت في شبه ظلام وفي تمام الساعة الثامن تماماً ومن خلف زجاج باب الغرفة وقف الطبيب المعالج من خلف نظارته الطبية الأنيقة المربعة يراقب بصمت حتى لاح عبيد يقوم لا إراديا ودون أن يدري بالوقت حيث كان الطبيب قد وجه بنزع الساعة الحائطية وإخفائها سار الهوينى إلى نفس نافذة الأمس رافعاً السبابة اليمني وراح يهذي بنفس الصوت الهادئ والعميق وبتلك الكلمات المبهمة الحَمل الحَمَل وظل يرقب باهتمام شيء ما تحت الوادي، حاول الطبيب والممرضة أن ينظران عبر النافذة ويميزا شيء ما يثير الفضول أو آثار عبيد لكن لم يتمكنا من رؤية شيء ما وان كان الطبيب أحس بشيء ما تحرك خلف الصخرة الضخمة المنتصبة بجوف الوادي ولكن ظل يحملق فيها ولم يري أي وجود لمخلوق، ومن ثم أعاد عبيد إلى سريره و حقنه بمهدي وماهي إلا لحظات حتي غط في نوماً عميق، في الليلة التالية وفي السابعة والنصف مساءً قام الطبيب المناوب بتفاقد المرضي والقي نظرة أخيرة علي الغرفة١١ حيث عبيد كان يخلد للنوم ويبدو انه بنوم عميق من خلال أنفاسه المنتظمة والتي

تسمع بوضوح أشار الطبيب للممرضة صباح بالخروج واحكما غلق الباب النصف زجاجي وخرجا مرت نصف ساعة وكالمرة السابقة في تمام الثامنة دون أن يدري عبيد ما الوقت تسلل من فراشه وتوجه نحو النافذة يرقب شيء ما في الوادي وراح يحملق وجبينه يتعرق رغم برودة الجو وأعصابه تتحفز ويتمتم بنفس الكلمات الحَمَل الحَمَل تذكرت الممرضة التي كانت تتناول كوباً من الشاي الأحمر الساخن بالنعناع في غرفة الممرضات الساعة الثامنة كانت تشير في معصمها إلى الثامنة وثلاث دقائق حطت كوب الشاي دون أن تكمله وهرولت نحو الغرفة١١ اقتربت من الغرفة وسمعت صوت زجاج يتحطم ،كان عبيد واقفاً هناك وقد تناثر حوله الزجاج والرمل وأصيب ببعض الشظايا كان المكان يوحي بهبوب عاصف رملية حطمت الزجاج ونثرت الرمل على أرضية الغرفة وشعر عبيد المعفر به وعبيد واقفاً متشنج وقبضتاه منكمشتان كمن يريد أن يلكم شخصاً أغضبه ،ضغطت الممرضة زر بالجدار وأمسكت بعبيد وهي تطمئنه وتشجعه وقادته للسرير وعادت تلقي نظرة على النافذة لمعرفة ماهو الشيء الذي كسر النافذة وأثار هلعه في نفس اللحظة التي دخل ممرضان يهرعان وأشارت لهم لتضميد جراح عبيد وأطلت عبر الفراغ والظلمة السوداء نحو الوادي المهيب المسربل بالسواد إلا من انعكاس أضواء أعمدة الإنارة البعيدة في الشارع الذي يشق الجبل المطل عليه ومالت بنصفها العلوي عبر النافذة كريح تعبر منعطف غير ابهه بالزجاج المتناثر وبقاياه الحادة بحافة النافذة الذي مزق معطفها الأبيض وهيئ إليها أنها تراه ذلك المخلوق الخرافي بقعر

الوادي فاردا يداه الأربع ثم عاصفة قوية هبت على ذاك الشيء وحجبت عنها الرؤية ولم تعد تبصر شيئاً

مغضوب

التفت والتقت عينانا وتخشبت تماما ولم يعد يجدي ما أحمله من الخناجر وهراوتي لكن كان لانقشاع السحابة والتي بدت كمنقذ ومخلص لي من براثن المخلوق الدميم وتسللت خيوط القمر الفضية المتلألئة تقشع وحشة المقبرة وخوفي وكانت أشعتها تنعكس على شواهد القبور وكانت بمثابة إشارة مزعجة للوحش حيث أثار تلك الموجة الكثيفة من الغبار مجددا والتي كانت تثار بفعل ذلك الهواء الحار الذي ينفثه من منخريه العظيمين وكأنهما بركانان صغيران ينفثان حممهم، مما أجبرنا على إغلاق عيناي والسعال بشدة وأنا أتوقع بين لحظة وأخرى أن ألقى نفس مصير جحبور الغامض, والمخيف،لكن مع انقشاع موجة الغبار التي صنعها الحَمَل لم أجد له أدني أثر وإن كنت خمنت عودته إلى القبر المجهول الذي خرج منه كان الصداع يفتت راسي والجوع يعضنا بنابه والطنين يصم أذناي ولم أجد بد من أن أطلق لساقي العنان وانطلقت مفزوعاً كغزال نجي من موت محقق من بين براثن أسد سالكا طريق جديد نحو المنزل اخترعته قدماي المرتعشتان رحت متقافزا بين الحقول والصخور مضطرباً ومشوشاً حتى إنني قفزت من حقل عالي وحلقت من شاهق ولم اشعر إلا وأنا في الجو بفداحة تلك المجازفة وارتطمت

قدماي بعنف وشعرت بدوالي حادة تنبجس بقدميّ وتسري في أفخاذي حتى تخترق مثانتي وتلهبها بحرقة لاذعة لاح أخيرا باب دارنا ورحت اقترب منه واشعر بخطواتي تثقل وكنت انقل قدماي بصعوبة وفجئتاً أظلمت الدنيا تماماً بمرور قطعة سحاب سوداء داكنة طويلة والتفت ورائي لأطمئن انه لايتبعني واشرائبيت برأسي نحو المقبرة وكان العرق المختلط بالتراب يغرق جبهتي وتسلل لعيوني ولم أري بوضوح ومسحت بكم قميصي ذلك العرق المتساقط من حول العينين ،واعدت النظر مجدداً وياليتني ما فعلت وكاد عقلي الزائغ يطير وأصابنا الفزع والرعب الشديد ،وأنا المح تلك الموجة اللعينة من الغبار تنبثق مجدداً والتي تسبق خروج مسخ المقبرة وفقدت صوابي وحاولت استحث قدماي المتعبتين على اجتياز المسافة القليلة ،دون فائدة تذكر كأنهما غاصتا في بحيرة من القار ولم ادري كم مر من الوقت وأنا على هذه الحالة وكم الساعة كل ما شاهدته هو أن كل الدور قد أطفئت أنوارها حتى دارنا ولم تعد تسمع حس إنسان أو حيوان سوى صراصير الليل التي لا تكف عن الضجيج ويبعث صريرها المزعج الخوف في النفس ويزيد من التوتر حتى تلك الكلاب التي كانت تملأ القرية نباح وكنت استأنس بها كأنها تعاندني ولم اعد اسمع لها أي صوت وكلب جارنا حاشد ذلك الكلب الهزيل الممرغ دوما بالترب من عبث أطفال القرية المدعو حارس والذي يحتاج إلى من يحرسه بالأساس وكان لا يسكت لا ليل ولا نهار لا ادري أين هو اليوم ولماذا هكذا يعاندني هو الآخر وأنا في أمس الحاجة له اليوم أتمني ولو نبحة مخنوقة واحدة منه

تصلني، بدت تلك الأصوات التي تشبه وسواس الذهب تصدر من جهة المقبرة وكانت تسمع بوضوح وكنت اسمع قرع حوافر حيوان تصدر من جهة المقبرة الأمر الذي أشعل الأدرينالين في أقدامي ووثبت بما بقي لي من قوة حتى وصلت لباب الدار ودفعت الباب بجنون وأحكمت إغلاقه جيداً ،وارتقيت درج الدار وقد عادت أليا أنفاسي وهدأت لواعجي وشعرت بالسكينة والأمن تنبع من بطن الروح ومن كل مسامات جسمي وحمدت الله كثيرا ،ودخلت الحمام وأفرغت ماء كثير واستمر تدفقه لربع ساعة لدرجت استغرابي من أين أتت كل تلك الكمية التي لم أعهدها بحياتي قط وتوجهت صوب المطبخ وبعد أن غسلت فمي جيدا أكلت ما قدرت عليه يداي من حارا وبارد وشربت ماء من كوز احمر بارد كشرب الهيم حتى عادت صورتي المزرقة تورد من جديد واستعدت هدوئي وثقتي بنفسي وأيقظت أبي الذي كاد يفتك بي وإخواني الذين استيقظوا مفزوعين وفشلت كل محاولاتهم بتهدئتي وجعلي أقص الأمر عليهم بروية حيث كنت مندفعاً ولا ادري ما اصف لهم وبكلمات مضطربة ،حكيت لهم قصة الحَمَل وأصريت على الذهاب الآن حيث مازال يحوم حول المقبرة ويبدو انه استيقظ من نومه منذ أبصرته وبإمكاننا قتله وسيكون حدثاً فريدا من نوعه ستنقلب له المملكة المتوكلية اليمنية كلها وان جحبور ومهيوب لاشك محتجزهم في ذلك القبو الذي خرج منه ،تجمع خمسة وعشرون رجلاً من أبناء القرية وكانوا مسلحين بالبنادق والهراوات والفؤوس وانطلقنا صوب مقبرة الحاج مُحَمَّد ووصلناها سريعاً واتجهت

صوب القبر المجهول حيث خرج الحَمَل متثائباً يصب حممه، تحفزت أعصاب الجميع ونحن نقترب وزاد من الخوف سمع وقع تلك الحوافر بوضوح ثم تلك الحشحشة المخيفة وبدأت أصوات ارتطام الحوافر بالحجار والأرض تزداد وضوحاً وبلغ التوتر والخوف مبلغه وبدت نذر الخطر تلوح وأيقن الجميع بصدق كلامي ولم يعد هناك مجال للتراجع وتحت القبر مباشرة أبصر الجميع ذلك الكائن الذي كان يقف بشموخ ونشوة وتحدي رافضاً الاختباء أو الفرار ووجهه مواجهاً لنا يرمحنا بعناد وامتدت الأيدي وتم الدفع بالفوانيس باتجاهه وحدثت المواجهة، وانطلق ذلك الشحيج القبيح والمفزع الذي أطار عقولنا وأفئدتنا على حد سواء وانطلقت تلك الصرخة لتشق سكون الليل وما بقي من استبسالنا وأيقظت كل القرية أحياء وأموات ،كان ذلك النهيق الذي دوي كعزيف الجن في الأرض العراء وملاء المقبرة صوتاً وصدي وقلبي خجلاً وخزى هو نهيق الحمار مغضوب الذي كان يرتع في المقبرة شأنه شأن كل حمير القرية اللاتي لا يخاف عليها أصحابها ويودعوها الإسطبلات كالبقر والغنم والماعز كون الحمير سعرها متدني وليس هناك ما يخاف عليه من لبن وسمن ولحم ، وفضلاً عن شراهته للبرسيم كل ذلك يجعل أصحابها يطلقون سراحها لتمرح وتسرح ليلاً ويستعيدونها نهارا للكد والعمل لأجل ذلك يطلق عليها أبو صابر للصبر على هذا المعاملة الغير أخلاقية وإنسانية والعمل الشاق القاسي، لقد نسفت الوصلة السيمفونية للحمار مغضوب عليه من الغضب ما يستحقه كل أمالي ومكانتي في القرية وجعلتنا أضحوكة في

قريتنا وفي القرى المجاورة وصار الناس يتندرون بي والصبية الصغار تسخر مني هذا قاسم الذي فجعه الحمار مغضوب وحسبه طاهش*(1).

*(1) الطاهش لفظة شعبية تطلق على كل حيوان مفترس

الصدمة

بالعودة إلى حالة عبيد بعد الحادثة الغريبة دعونا نوجز جملة من الأمور ومعرفة ما حل به، صدمة عصبية هي التي تعرض لها عبيد هكذا نطقت الدكتورة حنان أخصائي الطب النفسي بمستشفى الأمراض النفسية التي تقع في ضاحية الحصب بمدينة تعز، واستطردت أدت إلى هذه الحالة من فقدان الذاكرة والألم والخوف الحاد مما أدي إلى هبوط حاد في ضغط الدم مما نتج عنه لم يستقبل الدماغ دماً كافيا فادي للإغماء ،ونتيجة لأنه مكث فترة طويلة فاقد للوعي ولم تقدم له الإسعافات الأولية في حينها فان القلب ظل يدق بعنف والتنفس أسرع وغير منتظم كل هذا أدي لحصول الصدمة وقد لعب بعد المكان عن اقرب نقطة إسعاف دور في تأخر العلاج فالفجيعة والخوف الشديدين أديا.

إلى اختلال وظائف الجسم وعمله بشكل طبيعي لكن الغريب كيف تطورت بشكل متسارع لتتحول من الصدمة العصبية إلى نفسية وعقلية، ففي معظم حالات الصدمة العصبية يستلقي المصاب على ظهره مع رفع رجليه قليلا ويجب وضع الشخص المصاب بصدمة ناتجة عن اضطرابات بالقلب في وضع شبه مضطجع ويساعد نقل البلازما أو الدم الكامل في استعادة ضغط الدم في معظم

الحالات وقد يعطي الطبيب دواء ينظم حجم الأوعية الدموية وينشط القلب ويحارب أي تفاعلات أو مضاعفات قد تحدث،كان للمنظر الذي شاهده عبيد لو في حالات طبيعية شاهده وهو بمحض إرادته ولو كان مخلوق بشع ومخيف لن يحصل له شيء سوي بعض الاندهاش والانبهار لحد عدم التصديق كالذي يحصل لنا بلقاء شخص أو شيء مفقود يئسنا من أن نجده، هذه هي ردت الفعل التي يمكن أن تحصل لكن نظرا لظهور شيء مفزع ومرعب وسط القبور في تلك الساعة وتهديد الحياة وسلامة الشخص أدي إلى تلك الصدمة التي أثرت على وظائفه وقواه العقلية وأدت إلى هلوسات واضطرابات ثم الحالة التي عليها من الشرود والذهنان، وهذا يمكن ينطبق لأي مخلوق آخر مكان عبيد مهما كانت أعصابه حديدية إلا في حالات نادرة يتحلى فيها المرء بإيمان قوي وهي تحصل لأولئك الأشخاص الأتقياء العارفين بالله المتوكلين عليه الذين لا يخافون ما يحصل ويردوا كل شيء للقضاء والقدر ومنقادين ومسلمين أمرهم لله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) صدق الله العظيم، لكن من خلال حياة عبيد الصاخبة والمليئة بالمغامرات والشقاوة كما وصلني فشخص كعبيد قضى عمره بين المقابر منذ نعومة أظافره حتى سن الكهولة، فمع الثورة الرقمية والتطور التكنولوجي والكهرباء وشق الطرق يستحيل أن تجد حيوانات برية تقترب من العمران فما بالك بأسطورة تتحقق هذا ضرب من الجنون لكن ما رآه عبيد وهو بتلك الشقاوة والحياة المفعمة بالفوضى والمشاكل ومعايشته للأخطار وتحديه للخوف فلا بد ما أرعبه شيء

يفوق تحمله وقدراته وإني استبعد انه يدعي الجنون والمرض فمن خلال خبرتي وفحصي له يستحيل سيسلوجياً وأكيلنيكياً أن يكون يتصنع المرض ولعل العقل الباطن الذي يحتفظ بقصص الأشباح وبعض عقد الطفولة ممكن أن يكون قد نشط إليه عامل الاسترجاع لبعض تلك العقد مع مشاهدته لأمر مفزع وشكل تلك الصدمة التي ممكن تؤدي في الصدمات الكبيرة لتلف في خلايا الدماغ لاسيما تلك المسؤولة عن التذكر والتي توجد بمؤخرة الرأس وربما تلقي ضربة أو سقط وان كان لا يوجد اثر واضح لأي إصابة أو ضربة لكن الارتجاج حتماً له أضرار تؤدي إلى هذه الحالة التي عليها عبيد وأسطورة الحَمَل كلنا سمعناها بطفولتنا ولم يعد احد يسمع تلك القصص واندثرت، ولكن يبقي الأمل ضعيف ببقائها كعقدة إلا إذا صاحبتها عوامل من الاضطهاد والعنف الأسري والانطواء والجبن في الطفولة وفي حالة عبيد عكس ذلك تماماً فعبر مراحل حياته وكما وصلني وهو يعبث بين المقابر والقبور وممكن أن تتراءى له الأشجار كأشباح والصخور كحيوانات و جن وعفاريت ولم يتسلل له الخوف ولو بصيص بسيط ولم يشعر بأدنى فزع بل وشخص بهذه الصفات يستحيل أن ينهار دراماتيكياً هكذا فجأه ويصاب بالجنون نتيجة خوف ورهب تعرض لهما لابد أن في الأمر سر، ويقال أن كل أطفال قريته وأترابه كانت تطرده عندما كانت أولئك العجائز يقصن قصص الأشباح والجنيات والساحرات والحَمَل وكان يفسد متعة العجائز الطاعنات في السن في ترويع الأطفال والتلذذ في تخويفهم فشلت كل محاولات

الهيمنة عليه من قبلهن وتخويفه وإذلاله حتى بوجود أمه التي كانت تحثه على الإنصات للحكي إلى الأخير ،بعد أن شكين تمرده لامه وأنه يسخر منهن ويرفض أن يتزود بهذا المعين من التراث الثقافي الذي لابد منه ويجب أن يعَمد به كل طفل بالقرية ليبقى مطيعاً وتحت السيطرة ويسمع الكلام ويكون أسير الخوف والطاعة العمياء لنزوات تلك المسنات وأولها تلبية طلباتهن المستمرة و ثانيها المسك بأيديهن والسير بهن وقضاء مشاويرهن التي لا تنتهي

صباح

صدرت أهه خافته عن صباح تلك الممرضة الرقيقة كالنسمة والنحيفة التي تتميز بدماثة الخلق و تجمع بين نشاط النحلة ورقة الفراشة وجمال الورد ، وهي تشاهد ذلك المسخ البشري الذي وقف فوق تلك الصخرة الصماء الضخمة التي تنتصب في قلب الودي الفسيح يفرد تلك الأيدي الأربع البشعة بترقب ومكر أمعنت النظر ثانياً كان لايزال يواصل مهرجان التحدي والاستعراض وكأنه واثق من أن منظره المخيف كفيل بإثارة رعبها بل والقضاء عليها أخرجت من جيب معطفها الطبي الأبيض الناصع موبايلها إل تي ٩ أبو تاج الجديد الذي تلقته هدية من صديقتها المتزوجة في الخليج، وصوبت كأميرتها الفيديو نحو ذاك الشيء الذي كانت تعتقده مخبول يرتدي قناع وبدله لإخافتها وضغطت زر التسجيل استمرت بالتصوير مدة خمس دقائق ومازال الوحش صامتا يرقبها بعينين فسفوريتين لامعتين حائرتين ،ولم يتزحزح قيد أنمله ومن ثم بدأت تلك الموجه من الغبار تتصاعد من حوله حتى غطته تماما ولم تعد تبصر شيئا واستمرت موجة الغبار حتى شعرت بها تتسلل عبر النافذة المكسورة عندها أوقفت التسجيل وحاولت التقاط صور

فوتوغرافية للغبار ثم توقفت وهي تشعر بتلك القشعريرة تسري في جسدها وتصل لعظامها وشعرت بجسدها يرتعش وهي تشعر بأعراض الحمى وصداع ودوار ووجهها الأبيض يكفهر ويزداد شحوباً ،ووجدت نفسها تنخرط في نوبة بكاء ثم أطلقت تلك الصرخة المدوية التي ارتجت لها جدران المستشفى وستظل عالقة بقواقع آذان مرضي وممرضي وأطباء وحراسة المستشفى ماحيوا، ثم خرت مغشياً عليها لا تبدي أية حركة هرع الأطباء والممرضين المناوبين وجنديان من الحراسة إلى الغرفة١١ ووجدوا صباح مرمية على الأرض وبجوارها موبايلها والذي كان مفتوحا على وضعية الكاميرا تم أخذها إلى غرفة الممرضات وتم فحصها من قبل الطبيب الذي وجد عندها هبوط حاد في الدورة الدموية وتم إعطائها مغذية تحتوي على محلولNORMA SAIN، وكانت صباح تهذي وتتمتم ببعض الجمل الغير مفهومة فهم منها الدكتور كلمة موبايل فسارع الدكتور بإعطائها موبايلها قائلا اطمئني هاهو وقد أغلقته حتى لا يزعجك احد نالي الآن قسط من الراحة ودعي المغذية تسري لتستعيدي صحتك وسأعود قبل أن تنتهي المغذية لنزعها والاطمئنان عليكي فلا تقلقي ووضع الموبايل تحت وسادتها ،و همت صباح التي كانت في شبه غيبوبة بالحديث وقول كلمة ما عندما أشار بسبابته إلي فمه وانصرف بمعية الحضور وأغلق الباب بهدوء وما أن أطمئنت إلى ابتعادهم بالقدر الكافي حتى كانت يداها المتحررة من المغذية تغوص تحت الوسادة وتخرج الموبايل و ضغطت زر التشغيل فراحت الأضواء الأرجوانية للموبايل تتراقص وراح يصدح

بنغمة الفتح المزعجة والقوية خافت أن يسمع الآخرون ذلك الرنين الفاضح الذي أربكها فضمته لصدرها لتكتم ذلك الصخب وأنفاسها تعلو وتهبط وهي تزدرد لعابها وقطرات المغذية الرتيبة والمملة تزيدها ضيقاً كانت متوترة تريد فتح مقطع الفيديو الذي صورته أردت أن تتأكد من ماهية الشيء الذي صورته وسر تلك العاصفة التي أثارها حوله ولفحتها بذلك الهواء الكريه والخانق كانت دقات قلبها تنبض بقوة تؤلمها استعاذت بالله من الشيطان الرجيم وحسمت أمرها أزالت النقش المرئي وبدأت بتصفح الملفات حتى وصلت لأيقونة الأفلام نقرت عليها برفق ظهرت لها عبارة جاري التحميل ثم ظهرت عدة مجلدات مررت بسبابتها حتى توقفت عند مجلد الكاميرا خيل إليها أن هناك من يرقبها أحست بذلك الشعور الغريب الذي نحسه عند وجود شخص معنا بالغرفة مختبئ والذي نستشعر به بحسنا الفطري للخطر دون أن نسمع أي حركة أو ما يدل عنه وضاعف من إحساسها تلك القشعريرة الباردة ببدنها وانتصاب شعرها الأسود الفاحم المحبوس خلف حجابها الأبيض الأنيق والنظيف تطلعت حولها لم تجد شيئاً عادت تتطلع بشاشة الموبايل من جديد ظهر لها خمسة عشر مقطع فيديو صورتها لإخوتها الصغار وبعض الورود ولقطات لبعض المناسبات ولم تكن المقاطع بها تسمية وإنما تلك الأرقام الطويلة التي تحدث عند الالتقاط وحفظ الفيديو دون اسم، لم يطل بها الأمر بالبحث حيث كان الموبايل يظهر لها لقطات الفيديو قبل فتحها تستطيع أن تستشف نوعية ما يحتويه المقطع تعرفت على ثلاثة عشر مقطع

وتوقفت عند مقطعين يبدو عليهما السواد حيث لاشك أحدهما هو الذي التقطته لذلك المخلوق اللعين أو أيا كان عادت دقات قلبها تنبض بقوة وأخذت شفتاها اليابستين ترتجفان وراح الدوار الذي كان قد خف يدور برأسها مجددا كمروحة عتيقة وعاودها الصداع الذي كاد يفتت دماغها وكأنه معول يرتطم بصخرة صلدة وأحست بوجع إبرة المغذية الموصولة بيدها اليسرى التي لاشك أنها تحركت ونكأتها نتيجة الحركة والمجهود الذي بذلته وكانت تشعر برغبة عارمة في القي المصحوب بحرقة بالمعدة ومع كل هذه المعاناة كانت مصممة على التأكد من ماهية الشيء الذي صورته هل هو إنسان يمثل أم حيوان أم معتوه من أولئك الذين يحملون الأوساخ والقاذورات والأسمال والحبال ويربطون القوارير البلاستيكية حولهم وما أكثرهم في بلدنا التي صار نصف شعبها مجنوناً بسبب الفقر والبطالة والجوع والحرمان والمشاكل نتيجة الوضع الاقتصادي المتردي والمتفاقم والذي يزداد سوءً يوم بعد يوم أرادت أن تحسم الأمر قبل أن يرجع الدكتور عادل ومخافة أن تخور قواها وتفقد الوعي قبل أن تصل للحقيقة لم تعد تعي ما تقوم به وكانت تحس بالوهن والتعب الشديد ،وفي أصابع مرتعشة ومترددة ضغطت على المقطع الأخير وهي تردد المعوذتين وفتحت المقطع ،والذي نقل لها بوضوح الصخرة الرابضة بحلق الوادي والإضاءة الخافتة التي تصلها من أنوار أعمدة المستشفى والشارع الذي فوق الوادي ينصف الجبل ومرت ثواني قبل أن تري الصخرة وفوقها ينتصب مسخ بشري كان يغطيه الشعر وله أربع أرجل وأربع أيدا وله رأس ضخم

ومنخارين كبيرين وعينان مشعتان ببريق فسفوري مرعب ومخيف وكان ما شاهدته صدمة قوية لها وجعلها تنتفض بقوة وتحاول النهوض من على السرير دون جدوى شعرت بالتنمل بقدميها وخدار بيدها اليسرى وكأنها بترت وصرخت بأعلى صوتها لكن صرختها خرجت مكتومة وكأنها خرساء ولم يكن ما القى الرعب في نفسها المسخ البشري بل تلك الجثة التي يحملها على ظهره لقد كانت جثة شخص تعرفه عز المعرفة بل انه هناك في الغرفة ١١ لقد كان الحَمَل يحمل فوق ظهره ويطبق بيديه القويتين على آخر شخص ممكن أن تتصور وجوده بظهر الوحش أو أي مكان آخر إذ يستحيل أن يتواجد بمكانين بان واحد أو يخطف ويقتل دون أن تشعر به كان الوحش يحمل جثة عبيد

سر المقبرة

ضحك المقدم صادق من أعماق قلبه وانفجر الحاضرون بالضحك على ماجري بين الحمار مغضوب والحاج قاسم الذي اكتست وجهه حمرة خفيفة علامات التذمر والخجل وراح يردد أن ما حصل حقيقة وليس نكته للتسلية والترفيه وإزجاء الوقت الذي يجب ألا نضيعه بالضحك ويجب البحث عن عش الحَمَل وإنقاذ الشاب حاميم من بين براثنه ،وقبل انتهاء موجة الضحك التي اجتاحت الحضور كان صادق يسأل الحاج قاسم لكن قلي ما الذي جعلك تتيقن أن الحَمَل سيعود لمقبرة القرية ولماذا ليس مقبرة أخري، بعد كل هذه السنين والأجيال المتعاقبة والتحول الذي طرا على القرية حيث شقت وعبدت الطرق وافتتحت المدارس والمستوصفات وانتشرت الدكاكين فيها والتوسع العمراني الهائل الذي زحف وغزا تلك الهياج*(1)المترامية الأطراف ناهيك عن الكهرباء التي بددت الظلمة وصارت الحيوانات البرية تخشاها وتتحاشي المرور من القرى المضاءة فكيف للحمل القدرة على العيش والتخفي كل هذه السنين دون أن يلاحظه أحد أو يتعرض له وإن

---

*(1) الهياج جمع هيجة وهي الفرجة بين نتوئين من جانب الجبل ومسقط من مساقط السيل التي تنحدر إلى الوديان وهي كثيرة الأشجار وقد تقام على جانبيها المدرجات الزراعية وتكثر فيها الطيور والحيوانات البرية والحطب

سلمنا بمقدمه من منطقة نائية أومن الجبال الشاهقة الوعرة ومجاهل الصحراء القاحلة البعيدة

متسترا بالليل ولديه قدرات هائلة على قطع المسافات الطوال وتحمل الجوع والعطش ولم تعد الحيوانات المفترسة والهوام تتعرض للناس كما في الماضي باستثناء حالات نادرة لتعرض البعض لنكز الأفاعي ولو وجد في ظروف غير هذه الظروف قبل عشرين عاماً مثلاً أو أيام اختفاء جحبور ربما هناك الحَمَل أو أي وحش مفترس آخر وقد سجلت عدد من الحالات في العالم باعتداء حيوانات مفترسة مجهولة وأخري معروفة بعدوانيتها للإنسان كبعض التماسيح في إفريقيا والنمور الأسيوية لاسيما في النيبال والهند وهناك حالة نادرة لحيوان مستذئب في مصر قبل بضعة أعوام أرقت الأجهزة الأمنية حتي تم قتل ذلك الحيوان الذي يعتقد انه ذئب هجين وتنوعت أوصافه فناس تصفه بأنه يشبه الثعلب لكن اكبر منه أو الذئب ويتمتع بصفاتهما وآخرون يرون انه يشبه البعير الصغير ومن يقول انه كلب مسعور ضخم أطلقوا عليه تسمية شعبية ظريفة سلعوة كان يهاجم الإنسان والحيوان على السوء وقتل وأصاب العديد من الأطفال والرجال والحيوانات حتي تم أخيرا القضاء عليه وحدث ذلك في صعيد مصر وان لم تخني الذاكرة في منتصف التسعينات وقد ذكرت ذلك صحيفة أخبار الحوادث المصرية وبعض الصحف، ومن بعدها لم تسجل أي حالات أخري لاعتداء أو ظهور حيوانات مفترسة وفي مدينة سعودية

مجاورة للحدود اليمنية وهو نفس الحيوان ويسمي المخلوف ولم يشاهد لكن يقال أن هجومه اقتصر على بعض الحيوانات ولكن يقال أنهم سمعوا عنه من الأجداد انه يحفر القبور ،ظل الحاج قاسم منصتاً لكلام المقدم صادق وهو يهز رأسه علامة الإنصات و التفهم وإن كان في قرارة نفسه غير مقتنع ثم تكلم أخيراً أن جحر ذلك الشيطان في قبر مجهول في مقبرة الحاج مُحَّد فتردده وكل حوادثه تحصل عند مكان معين قرب قبر المرحوم سعيد بمكان يستحيل أن يراه فيه أحد ولا يمكن أن تزحف نحوه العمران أو يجعله يسري ليلاً ويتسعسع في الطرقات ويقطع مسافات طويلة ولا يحزنون فهو مخلوق ليلي يخرج والناس هاجعون في بيوتهم وليس بحاجة للتنقل لمسافات طويلة تجعله عرضة للخطر والوقوع بيد إنسان مسلح يسلبه حياته أو يهدد وجوده وبقائه، وهناك ضريح مجهول وغريب في المقبرة لا يعرف له صاحب حيث وكل قبر في القرية موثق ومكتوب حدوده ومكانه في سجل خاص موضوع بأحد أدراج مكتبة المسجد ومغلق عليه جيدا بالقفل جوار جهاز الصوت ويقوم الأستاذ عقلان ولازال حيا يرزق وقد تجاوز التسعين من عمره وماتزال به قوة وصحته جيدة يدون كل حالة وفاة بالاسم الرباعي وتاريخ الوفاة والسن ومكان القبر ويوثق لكل حالة وفاة بدباجته الشهيرة أنتقل من الحياة الفانية يومنا هذا المرحوم فلان ابن فلان وفلانة الي الحياة الباقية ودار القرار وتم دفنه في مقبرة الحاج مُحَّد في مكان كذا جوار قبر المرحوم فلان وعن يساره المرحوم علان تحت شجرة القرض الغربية أو الشرقية...الخ،وهكذا حيث كل قبور القرية معروفة

وموثقة وقد واظبت مدة عام على الاطلاع على معظم السجلات في مكتبة المسجد والتي يعود أولها إلى عهد الدولة الرسولية أيام حكم السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن مُحَمَّد الرسولي٦٢٦هـ -١٢٢٩ م أي لها قرابة تسعة قرون ولا أعتقد أن القائمون على أوقاف المقبرة والمسجد وشؤونهما قد قصروا في شؤون المقبرة أو المسجد وفاتتهم تدوين حالة وفاة واحدة فهم مشهودين لهم بالكفاءة والصلاح وأعمال البر ومساعدة الناس

الذاكرة المفقودة

عاد المقدم صادق إلى مدينة تعز وبحث في مكتباتها الخاصة والعامة وسئل عن كتب تتحدث عن الأساطير اليمنية دون جدوى وتوجه لمكتبات الشارع أولئك الباعة الذين يفترشون الأرض ويبيعون الكتب القديمة ،كان اكبر تجمع لهم في شارع التحرير وظل يتنقل من بائع لأخر حتى عثر أخيرا على الكتاب لدي احد الباعة كان عبارة عن كتاب قديم متداعي من القطاع المتوسط ذو غلاف مخطط بالألوان الأبيض والأصفر والأزرق والأخضر عنوانه حكايات وأساطير يمنية تعود طبعته إلى عام١٩٧٧م صادر عن دار العودة ببيروت لكاتب وأديب يمني مشهور اخذ يقلب الورق المتهالك والبالي ولم يعد يتذكر تلك الأساطير ووجدها فرصة لاسترجاع بعض ذكريات الطفولة وتصفح الفهرس كانت١٢أسطورة كان يبدو الجهد الكبير الذي بذله من جمعها حيث لاشك قد واجه الأمرين وهو يقتفي معلومات الحَمَل ويجمعها من أفواه العجائز والمسنين الثرثارون كثيرو الكلام ومتقلبي المزاج، لقد جرب هذا منذ ساعات تري كيف

صبرت وكيف امتلكت سعة الصدر والقدرة على التحمل يا علي مُحَمَّد عبده دفع ثمن الكتاب ومضي ،في البيت وهو يقرأ وقد استعد بقلم ونوته لتدوين أية ملاحظات قد يجدها في ثنايا الكتاب عن الحَمَل وابتدأ يقرأ المقدمة التي صاغها المؤلف بأسلوب رشيق وجميل ووقف عند جملة لفتت انتباهه فدونها في نوتته التي لا تفارق جيبه أبدا (أساطيرنا لا تجعل محورها الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان وحدهما وإنما تنقله إلى صراع بين الإنسان وكائن حي مزيجا من الوحش والإنسان يتخذ له في كل أسطورة أسماً يعيش على لحوم الآدميين ويتقمص شخصية من يريد كما هو الحال في أسطورة الدجرة والجرجوف وهي ليست حقيقة وإنما هي نتاج صراع اجتماعي وحالة سياسية معينة ولا أحد يعلم متى وكيف نشأت) عدا ذلك لم يجد شيئاً مفيدا له ، وفي التاسعة مساء كان التعب والإرهاق قد استبد به ونالا منه ولم يستطع الصمود والسهر لإكمال مشاهدة فيلم بوليسي أمريكي كان يتابعه على قناة تلفزيونية عربية شهيرة تبث الأفلام المترجمة نتيجة السفر من القرية إلى المدينة بطريق القرية الملتوية والوعرة والشاقة التي أنهكت جسده ورجيته وفككت كل عضلاته وأصبح جسده كأنه جسد لاعب كرة قدم خلص للتو من مباراة كرة قدم مصيرية بذل فيها جهدا كبيرا وواجه خشونة وعنف من قبل اللاعبين المنافسين حتى تضعضع جسده، استغرق في نوم عميق حلم به بكابوس مزعج ووجد

نفسه يهرب من الحَمَل والحَمَل يتعقبه ويطارده في إصرار حتى استيقظ عند آذان الفجر فراح يبصق عن يساره ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وفي تمام الساعة السابعة صباحاً وبعد أن تناول فطوره في مطعم شعبي يقدم الفول بأواني فخارية من المدر ويصنع الخبز الشعبي بوطيس شعبي مصنوع من الطين توجه من فوره إلى مستشفى الأمراض النفسية وصعد مباشرتا إلى الغرفة١١ حيث يرقد عبيد كان قد أعد رسم توضيحي وتقريبي للحَمَل من خلال جمعه الغير مستند لمراجع رسمية و الذي جعله كحاطب ليل يجمع الغث والسمين ومن خلال ما وصفه الحاج قاسم وبعض الأهالي والبحث بالأنترنت بالمواقع الالكترونية التي تتحدث عن هذه الأسطورة أسطورة الحَمَل وكان أغلبها إن لم يكن كلها لمدونون دونوا ما سمعوه من عجائز وكبار السن دون أن يذكروا مرجع معين أما البحث في الكتب فلم يجد له أي وصف أو ذكر سوي تعريف مقتضب بموسوعة ذاكرة المعافر للهجة التعزية وكانت (حَمَل سُمَّايات

الجدات تقول أنه ينتزع جثة الميت من بُرْج الحَمَل خلال ليالٍ من دفنه ، وأنه يترك أثرا على القبر ، لعلها حفرة صغيرة) وبناء عل ذلك قرر أن يتعامل مع قضية اختفاء حاميم كقضية جنائية و يأخذ بالحسبان نظرية الحَمَل ربما قادته لشيء وبها ابتدأ ، جلس المقدم صادق ومعاون البحث الجنائي والطبيب المعالج وممرضان حول سرير عبيد الذي كانت قد

تحسنت حالته وتوقف عن الهذيان وتوقفت لديه حمي الحَمَل لكنه كان زائغ البصر شارد الذهن ثم بدا يهذي بصوت خافت تعمد ألا يسمعه الملتفون حوله الحَمَل الحَمَل قرب صادق الرسم المتخيل للحَمَل من عيني عبيد الخاويتين هل هذا هو الحَمَل هل هذا ما رايته تلك الليلة في المقبرة أخذا عبيد يحدق في الفراغ لحظات ومن ثم التفت يحملق في الرسم بعينين خف بريقهما وراح يتطلع فيه ولم يحرك ساكناً أو يؤثر فيه ،صدم الحاضرون رغم توقعهم استحالة وجود الحَمَل لكن كانوا متوقعين من عبيد الهيجان والصراخ والتعرف على الحَمَل الذي يدعيه ويهذي به ومن ثم تدخل الطبيب واخذ الرسم وراح يخاطب عبيد بلهجة حنونة ويشجعه وهنا توقف الطبيب لعل ألذي هاجمهما حيوان مفترس بعيد عن هذا الرسم الذي لا يصدقه إنسان عاقل والمستوحى من أفلام الرعب والفزع ولعل عبيد كان يدمن مشاهدة تلك الأفلام التي تؤدي مشاهدتها المتكررة والاندماج معها الي العيش في تلك الأحداث ومشاركة تلك الشخصيات معاركها وبطولاتها ومشاكلها وهمها حتي إننا ذات مرة قابلت أكثر من مريض عندهم أمراض الهيام بالأبطال الخيالين وشخصيات الأفلام والمسلسلات فأتذكر جيدا امرأة نذرت الصوم ثلاثة أيام وهي تشاهد مسلسل تلفزيوني مصري كان أسمه للعدالة وجوه أخري إذا خرج احد أبطال المسلسل من السجن وكان بطل المسلسل هو الممثل يحي الفخراني

حيث سجن ظلما بالمسلسل وفعلاً خرج وصامت المرأة مع كون الأمر تمثيل في تمثيل فهو نوع من الشيزوفرنيا الحادة والفصام والذهان حيث يعيش المريض بشخصيتين مستقلتين وكل شخصية لا تعرف شيئا عن الأخرى ولا تستطيع تذكر ما يفعله في كلا الحالتين حيث صور لها عقلها المريض بالذهان أن ما يجري هو حقيقة، فانا أري أن حالة عبيد أوهام ووساوس وهناك شيء قوي شكل له هذه الصدمة العنيف شيء مرعب كالالتقاء بأسد مفترس وضخم أو قاتل شرير مجرم أو تعرض حاميم للتعذيب والقتل أمامه فلم يتحمل ذلك المنظر وربما احتمال ضعيف انه قد قتل حاميم وأخفي جثته ويمتلك ذكاء خارقا وقدرة فائقة علي التمثيل وادعاء الجنون وهذا لا يتوفر إلا لعتاة الإجرام المحترفون والمجرمون بالفطرة، نهض الفندم صادق ومعه معاونه وحارسين من الأمن العام وقد زادت الأمور تعقيدا وأكثر غموضاً وكان يريد أن يتأكد أن ما يقوم به عبيد حقيقة مع أن التقرير الأولي لحالة عبيد أكد انه مريض ويعاني من حالة فقدان جزئي للذاكرة ووسواس قهري وهلوسات بوجود الحَمَل المزعوم وبينما هو والطبيب يتناقشان في مكتب الطبيب عن حالة عبيد وهو يأخذ التقارير والفحوصات عن حالة عبيد وطلب تصوير بعض الفحوصات والتقارير الذي سلمها لمعاونه تنحنح الطبيب وتكلم باستحياء هناك أمر غريب حصل لعبيد منذ يومين هناك نافذة في غرفته

يقف جوارها الساعة الثامنة تماماً ويردد كلمة الحَمَل بضع مرات وقد تم إخفاء الساعة عنه لكنه لا إراديا وكأنما لديه ساعة بيولوجية في دماغه في نفس الوقت المحدد الثامنة مساء يمشي إلى النافذة ويظل يحدق في فضاء الوادي وتحديد ميعاد معين بشكل دقيق ودون أن تدري ما الوقت ليدل على ذاكرة قوية ودماغ داهية هناك الممرضة المناوبة تم العثور عليها مغمية جوار النافذة التي كانت مكسورة والتي يطل منها عبيد بعد أن أطلقت صرخة مدوية أفزعت الجميع ،هنا تغير وجه المقدم صادق واربد وصاح بوجه لطبيب حرام عليك نطقها صادق بغيض مكتوم وحنق في وجه الطبيب لماذا لم تتصل لي أو تقل لي هذا من الأول هذا سيزيل غموض القضية هذا يدل علي أن عبيد والممرضة في خطر وهناك من حاول التخلص منهما أيا كان، أشار الطبيب إلى نهاية الطارود الطويل إلى ستارة خضراء سميكة حيث تقع خلفها غرفة الممرضات وهرعا إلى الغرفة بسرعة يسابقان الزمن ويتبعهم الآخرون وكانا يجدان صعوبة في الجري فوق البلاط الرخام الأملس والمصقول ووصلوا وهم يلهثون وزاحوا الستارة جانبا وأدار الطبيب مقبض احدي الغرف الثلاث خلف الستارة وما أن فتح الباب ووقع نظر الجميع على منظر صباح حتى أصيب جميعهم بالوجوم والبلادة كمن راو شبحاً وتدلي فك الدكتور السفلي ببلاهة كمن أصيب بمس كهربائي عالي الفولتية حيث كان الموقف صادماً ومؤثراً له بشكل خاص

ومحـزناً ومرعبـاً ومـوخزاً لضـميره وشـعور بالـذنب والتقصـير وتأنيـب ضـمير بشـكل كبـير جـداً كـأب يرجـع مـن العمـل مشـتاقاً لرؤيـة أطفالـه فيبلـغ دون مقـدمات ولا تمهيـد بوفـاتهم ويشـاهدهم بعـدها في أكفـانهم الصـغيرة البيضـاء الـتي لا أجـاب ولا أكمـام لهـا فتكـون القاضـية لـه ويعـيش مـا بقـى لـه مـن عمـر حطـام إنسـان هـذا مـا حصـل للطبيـب وزمـلاء المرضـة النسـمة النديـة صباح حتى أن أحد المرضين بداء ينشج ويتنهد بحرقة

شبح المستشفى

كنا قد توقفنا عند مقطع الفيديو الذي سجلته صباح بكاميرا موبايلها الدقيقة التي تلتقط بالوضع الليلي بوضوح وهناك شاهدت ما أرعبها وأفزعها وكانت تتوقع الشيء الذي فوق الصخرة مخبول أو ممثل فاشل أو حيوان ضال لتفاجئ بخروج أسطورة الحَمَل وأنه حقيقة وليس مجرد خرافة وحكاية تحكيها وتتناقلها عجائز القرية ،ومما زاد في رعبها وقناعاتها ليس مشاهدتها له فحسب لكن تلك المومياء أو الجثة التي يحملها فوق ظهره جثة عبيد الذي تركته من لحظات يغط في نوم عميق في غرفته ولم تنتظر حتى تتابع بقية المشهد بل راحت تصرخ بصوت هستيري لكن شيئاً ما كتم تلك الصرخة شيئاً نستشعر به عندما ننام ونحن قلقون فينعكس ضجيج يومنا في منامنا وتأتي على شكل كوابيس مزعجة كتلك الكوابيس الشائعة لدي عامة الناس والذين يشتركون جميعا فيها بل السواد الأعظم، يشرفهم دوما بطلته البهية الغير مرغوبة والزيارة التفقدية الإجبارية، سيد الكوابيس الجمل الدوسر الضخم وهو يلاحقنا ليأكلنا فنظل نصرخ ونصرخ صرخات مكبوتة ولا من مجيب ونظل نجري وكأننا نجري فوق جهاز الجري الرياضي ونحن واقفين في مكاننا والدوسر يفتح مشفريه المبتورين ويبرز أسنانه

الكبيرة المخيفة وهذا النوع الذي يختص به سيد الكوابيس يطلق عليه اسم الدكاك أو تلك الكلاب التي تنوب عن سيد الكوابيس في بعض الأحلام والتي تفضل متناولي القات الذين يقررون فجأه ودون مقدمات قطع القات ليوم واحد فقط بعد عمر وسنوات من الكيف فيأتوا لتصحيح الوضع المعوج وتأديب أولئك الذين تجرؤ على خرق العادة وقطع العادة عداوة وعبثاً تتخبط في منامك كسمكة أخرجت من الماء وتتلفت يمين شمال للبحث عن أحجار وكلما قبضت على حجر تجد انه تراب والكلاب تقترب منك شاهرتاً أنيابها الحادة واللعاب يتساقط من بين أشداقها ويسمي هذا النوع الخاص بمتناولي القات بالرازم(١)*

وهو ما حصل لصباح التي بداء لها مشهد الفيديو أسطوريا وكابوسا مرعبا بل أسوء من الكابوس وأصيبت بتلك الحالة التي كانت مقدمة لجلطة أدت الي إصابة جزء من دماغها والتواء فكها للجهة اليسرى كان مقطع الفيديو يشي بالكثير أوضح مما رايته بعينها المجردة وأكثر ما صدمها وأوصلها لهذه الحالة المشهد الواضح للوحش وتلك الجثة التي حسبتها لعبيد وهي لحاميم ابن قريته وصديقه الحميم شديد الشبه به، ظلت صباح كغيرها من اليمنيين تتعامل مع الشبح كأسطورة

---

(١)* الرازم التسمية الشعبية للكوابيس التي يتخيلها مدمني القات أثناء نومهم بعد يوم حافل بتناول ومضغ القات

اخترعها الأجداد ليخوفوا الأطفال ويجنبوهم زيارة المقابر في وقت المغرب والتأخر ليلا وباختراع أسطورة الحَمَل لإجبار الأهالي المحزونين على فقيدهم على حراسة قبره مدة ثلاثة أيام وقد تصل لأسبوع كنوع من التكريم لموتاهم وطرد الحزن من قلوبهم وانتشرت تلك العادة التي غدت مع الأيام أسطورة،لكن ليس كل الأساطير خيال وتراث وقصص شعبية تتناقل وتحكي كفلكلور أو نوع من الثقافة المحكية عبر السماع لابد أن بعضها حقيقة وهناك ثغرة وثقب تطل منها الأساطير على عالم الواقع وليس من صنع مخيلة الإنسان بل من تجاربه وحصول هذه التجارب أو الحوادث كانت صباح أول من وثق لوجود وحش الحَمَل لكن ماسر المقطع المصور الآخر والذي التقط بنفس الفترة الزمنية التي تم تصوير غطرسة الحَمَل فوق الصخرة، وما الذي يحتويه

مصرع صباح

ما الذي جري لصباح وما الذي جعل الرعب يستولي على قطار نفوسهم وجعلهم يبدو كالمعتوهين وجعل قلوب الأطباء وزملاء صباح من الممرضين والممرضات يبكون ولماذا لم تذهب لبيتها بعد انتهاء نوبتها في السابعة صباحاً لمعرفة ما جرى تعالوا بناء نستعيد ما حصل، كانت جثة صباح ملقاة في أرضية الغرفة وشعرها منكوش ومتطاير وعيناها جاحظتان بذهول كمن يركب تلك اللعبة الجنونية التي تسمي سفينة القراصنة التي تصعد بك إلى أعالي السماء ثم تهوي بك بقوة وعنف نحو الأرض لتحتبس الأنفاس وتجحظ العيون وتتعالي الشهقات ويتطاير كل شيء هكذا بدت حدقاتها التي خلت من نور الحياة وكانت ترتدي بيجامة نوم زرقاء مشجرة ويدها اليمنى قابضة بشدة على موبايلها الاسود المؤطر بلون وردي غامق واقترب الطبيب يجس نبضها، ولم يكن بحاجة إلى ذلك فمن جثتها المتيبسة وبريق عينيها المنطفئ يدل على مفارقتها الحياة كان مشهد موتها ذلك يبعث على الآسي ويحز في النفس، وهي بتلك الصورة وكان فوق الطاولة التي جوار السرير حقيبتها اليدوية ومسبحتها السوداء وصحن به سلطة مُملح

وبعض الخيار وقطعة جبن أبيض مَالح بكيس حراري شفاف لرفع الضغط، بدا واضحا انها لم تتناولها بعد وتركت على ماهي عليه ولأنها كانت تخدم كل من عرفوها وتساعد الجميع وتواصل بغير نوباتها لأجل التغطية بدل زملائها كان منظرها بهذه الحالة وهي بملابسها العادية وقد كشف شعرها وهي ميت مؤلم وموجع وصادم لكافة زملائها ورؤسائها وكل من عرفوها وذلك الممرض الذي كان ينشج ويبكي كانت صاحبت أفضال عليه وطالما وقفت لجواره وقامت بالعمل بدل عنه وكانت كل المستشفى هي حياتها وبهجتها حتى العمل بالنوبات الليلية التي كان يتهرب منها جميع زملائها وزميلاتها بسبب التعب من السهر كانت تقبلها هي وكانت تغير ورديتها الصباحية بورديات زملائها الليلية عندما يتعللون بظروفهم العائلية أو الارهاق من نوبة الليل أو المرض كان آخر من زارها الطبيب عادل الذي أوقف سريان المغذية وأغلق الكنيولة الموصولة برسغها وأعطاها صحن السلطة المِمَلح وبعض الفاكهة وأمرها بتناولها وأن تنام وكانت الساعة حينها العاشرة مساء هكذا تحدث الطبيب عادل ،وصل فريق المعمل الجنائي الذي كان قد هاتفهم أحد المعاونين الذي يفهم طبيعة عمله ودون تلقي الأوامر حيث في هذه الحالات يجب فحص مسرح الجريمة أو الحادث واخذ البصمات وأية أدلة أو عينات تتوافر لمعرفة الملابسات وبعد أن تم فحص الغرفة وتصوير الجثة ورفع البصمات كان الفندم صادق يشك أن أخر رقم متصل، له علاقة بالحادث أو ربما كانت تتصل لطلب النجدة لإنقاذها من شخص هاجمها هذا هو التبرير

المنطقي لموتها قابضة على الموبايل لكن ما وجده بالموبايل خيب ضنه وأربكه وزاد من غموض الموقف لديه ونسف كل ترتيباته وقلبها رأس على عقب وأربك ذلك الحدس الخفي في أعماقه وأصابه بالشلل التام والذي يساعده كثيراً في حل كثير من القضايا وفك غموضها لكنه يجد نفسه هذه المرة عاجز ومشتت كان يتوقع أن يجد في سجل المكالمات أو ملف الرسائل رقم معين له علاقة بمصرع صباح ثم لمعت بذهنه فكرة خبيثة وانسحب إلى ركن بعيد وبداء يتصفح الملفات وابتداء بملفات الفيديو وقادته أنامله إلى الفيديو الأسود الذي لم تتصفحه صباح بعد وانتظر ثواني معدودة ثم ظهرت الصورة تهتز وتتحرك ثم تستقر وتركز على منطقة معينة بدأت الملامح تتضح شيئا فشيئا لقطة ليلية للجهة المقابلة للمستشفى من جبل صبر أعمدة الإنارة والشارع الصاعد للجبل ثم تنزل نحو الوادي وتستقر على نقطة معينة صخرة ضخمة أو تل، ثم ابتدأت الصورة تقرب بفعل استخدام خاصية زووم تكبير وتقريب المنظر بدأ الجد والاهتمام على محيا المقدم صادق حيث كان الزووم يقرب الصخرة ويركز عليها حتى بدأت الصورة توضح وتصفي وكان يلحظ فوق الصخرة جذع منتصب لشجرة بعدة فروع وتفحص المنظر بدقة وتركيز أكثر وبدا له أن الشجرة أشبه بإنسان بل قرد ضخم بقامة الإنسان ثم ازداد التصوير نقاء وبدا الشيء على حقيقته كان مسخ بشري بقامة الإنسان له أربعة أذرع طويلة اثنتان ملوية للخلف واثنتان ممدودتان للأمام وكان يكسوه الشعر وله عينان أشبه بعيني الحرباء بحجم كرة البلياردو تقدحان ببريق غريب كأنه لهب

اخضر وكان يشعر بهما تدوران كدوامة ليس لها قرار وشعر بالصداع يضرب رأسه ويتركز أكثر بين العينين من جراء التحديق بتلك العينان المغناطيسيتان الحلزونيتان وتحفزت عضلاته وتوترت أعصابه ومن ثم تنبه لتلك الكتلة التي يحملها فوق ظهره وبدأت الصورة تقترب وشعر كأن مدية حادة غرست في أحشائه، واعتصرت يداه الموبايل بشدة ،لقد خيل اليه أنه رأي وجه الجثة التي يحملها المسخ بظهره اراد ان يعيد التسجيل للخلف لكن انبثاق تلك النغمة بانتهاء البطارية ثم لم تعطيه أية مهلة أخرى فحشرجت ولفظت البطارية أنفاسها الغير أخيرة وكان عليه إعادة شحنها لإعادتها مرة اخري للحياة ،الأمر الذي زاد غيضه وحنقه وتحفزه وهو يردد معقول هل الحَمَل حقيقة هذا يدل أن الحاج قاسم صادق في كل ما يقول وأن الحَمَل هو القاتل المتسلسل لجحبور ومهيوب وحاميم وصباح وصدمة عبيد العقلية ولا احد يعلم كم عمره وماذا ارتكب من جرائم القتل هل يمكن ان يكون هو القاتل؟ هل هو حقيقة ويا ترى كم وغد يوجد من هذا المخلوق اللعين

سر الفيديو

لم تكن تلك المشاهدات التي شاهدتها صباحاً للمسخ هي من أدت لنهايتها المأساوية عندما استشعرت خطراً ومن ثم أطمئنت من خلو الغرفة من أي شخص وعادت تتفحص الغرفة فلم تجد شيء ومن ثم عاد الدكتور عادل ومعه سلطة وقطعة جبن مالح وخيار وجرجير لصباح ونزع المغذية وسد الكنيولة ودردش معها لخمس دقائق ونصحها بأكل ما أحضره والنوم، وعندما كانت تهم بفتح شنشكريب صحن السلطة السفري شمت تلك الريحة الكريه تتصاعد في الغرفة وكانت تسمع صوت كوسواس الذهب، لقد كان معها في نفس الحجرة، تخيل نفسك وأنت بهذا الموقف مغلق على نفسك باب غرفتك وانت واثق تمام الثقة من انك وحدك في اطمئنان وأمان وتفاجئ بوجود إنسان عادي أمامك لا تدري من اين دخل ولا كيف جاء فما بلك بمسخ بشري! لاشك أن نبضات قلبك ستتوقف عن العمل وستصاب بالسكتة القلبية أو جلطة مفاجئة وعنيفة في المخ وإذا سلمت حتماً فان الجنون هو مصيرك ،نعم لقد

التفتت ببطء ناحية ذلك الفحيح لتشاهد ما كانت تشاهده للتو في الموبايل أمامها وكانه يقول لها ها أنا ذا أمامك لا تتعبي نفسك بالتحديق بهذا الشيء التافه الذي بيدك وجني عليك هذه المتاعب أو بالمثل الشعبي اليمني السائر من دور الجن ركضوه، كانت في حالة يرثي لها وقد امتقع وجهها وشحب وشعرت بنفسها تتغوط وتبلل الفراش دون أن تستطيع التحكم بنفسها ومنع ذلك النهر المتدفق من البول أو توقف إفرازات أمعائها الغليظة، هناك الكثير من الحيوانات الذكية التي أحصاها العلماء ولها قدره على محاكاة البشر والتقليد والتعلم والقيام بأشياء مذهلة كالشمبانزي وقِردة ديساس والدولفين ذو الأنف المدبب والإخطبوط العملاق والغربان والفيلة والثعالب والفئران وكلاب بوردر كولي والعنكبوت القافز، لكن لذكائها حدود ومحصور في نطاق معين دفاعا عن أنفسها أو طاعة لتعليمات سيدها ومدربها لكن ما جاء به الحَمَل حط الحيوانات وذكائها في مكانة عالية فكيف ادرك انها فضحت امره ووثقت وجوده بالتصوير وجعلت سره يكشف للعالم وحتماً لا محالة سينبشون الأرض للعثور عليه وسيطلقون الحوامات للبحث عنه وسيتعقبونه عبر الاقمار الصناعية لترصده والقضاء عليه وعلى سلالته أو حبسهم ووضعهم في الاقفاص الحديدية ليستمتع برؤيته الاطفال ويتعرض للذل والمهانة ،ناهيك عن انه من أكلة لحوم البشر وحتما سيترك حتى يموت

جوعاً أو يعطي طعام لا يستسيغه ولا تتقبله معدته المتخمة بالجيف لكن أي حاسة وادراك لديه هذا دليل انه ليس مجرد حيوان أكل للجيف ونباش لقبور الموتى بل انه مخلوق ذكي ويعرف كل ما يدور ويميز ويفهم كلام وتصرفات البشر كأنه يقرأ أفكارهم لاشك ان هناك وسيلة ما في دماغه استطاع بها أن يدرك حقيقة ما قامت به المغدورة صباح وتمكن عبر تلك الحاسة التي تنبجس من جسمه وتحلل درجة الخطر ونوعه وبناء على ما تلتقطه حاسته الشيطانية يحدد مدي الخطر المحدق به ويقرر مصير ضحيته وكانت النتيجة مع صباح سلبية وتمكن عبر رادار جسمه الرهيب من تحديد غرفتها واستطاع من خلال صورتها التي التقطها بقرنيته وطبعها بذاكرته ان يدرك كيفية القضاء عليها دون ان يمزقها بمخالبه الصلبة وانيابه الحادة الكبيرة ويترك دليلاً علي هجوم حيوان شرس وقوي يشي بوجوده وتوصل إلى أن يزيد من افرازات تلك المادة السامة الخانقة الكريهة في جسده التي تطير بالجو حسب رغبته وتشل جسد ضحيته وتسيطر على أعصابه وتسمم دمه وتؤدي إلى قصور حاد في وظائف الكلى والدورة الدموية ومن ثم الوفاة في غضون خمس دقائق فقط لا غير هذا إن لم يشكل منظره المرعب والمخيف النتيجة المرجوة فتموت ضحيته خوفاً

صراع مع الزمن

كان المقدم صادق في حالة من الغضب والحنق لانتهاء الشحن في البطارية وتوجه لغرفة القتيلة وهناك وجد عند سريرها شاحن يمتد من إحدى فيشات الغرفة أوصل الموبايل بالشاحن وهو يستعجل و يستحثه على الإسراع وأن يرمي بكل ما لديه من طاقة بسرعة لينعش تلك البطارية الميته ويعيد إليها الحياة والتي احس أنها لم تفرغ الا لتعانده وتزيد من قلقه وتوتره واستمر الشحن بطيئا والبطارية تؤشر باللون الأحمر الذي يدل على أنه لا فائدة ترجي وانه بحاجة إلى نصف ساعة على أقل تقدير ليتمكن من تصفح مقطع الفيديو، كان قد أطمئن من وجود عبيد بسريره ووجده يغط في سبات عميق حيث هيء له أنه لمحه بظهر الوحش قبل انطفاء البطارية أو هكذا خيل له، عمل دورة شاملة في الغرفة١١ وتفحص النافذة وأطل منها وتطلع إلى الصخرة الرابضة بشموخ في قعر الوادي ،كان قلبه يدق بقوة بين جوانحه ويتنفس بعمق و الافكار والاحتمالات تتقافز إلى ذهنه وشعور خفي أو حسه الأمني ينبعث من أعماق كيانه

ينبئه بان أمر جلل سيحدث توهجت غريزة الخطر التي تحصل له عندما يكون على وشك الاطباق على مجرم أو عصابة والقاء القبض عليهم وتشتعل تلك الغريزة لتنبهه إلى خطورتهم كونهم مسلحين أو يعدون كمين فيتمكن من الحذر وعمل الاحتياطات اللازمة واستعمال عنصر المباغتة والسيطرة على الامر لصالحه، وأنهي دورته في الغرفة ١١ وعين عليها حارس وانطلق صوب الموبايل الذي وجده قد تحول لون بطاريته من اللون الاحمر إلى الاصفر ومازال لا يجدي للتصفح، وفجأة قفزت إلى ذهنه فكرة جهنمية وراح يصرخ وجدتها وجدتها هكذا راح المقدم صادق يردد الكلمة الشهيرة للعالم اليوناني أرشميدس الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد؛ والتي قالها عندما تمكن من أن يعرف غش صانع تاج ملك سرقسطة حيث كان ملك سرقسطة قد أمر بصنع تاج جديد من الذهب فلما تم صنعه ساور الملك الشك في أن يكون الصانع قد أضاف إلى الذهب قليلا من معدن الرصاص، فاستدعي أرشميدس وأمره أن يتحقق من ذلك ويكشف له صحة شكه من دون أن يكسر التاج وفكر أرشميدس في المشكلة وأطال التفكير دون أن يصل إلى حل لها ..ولفت نظره ذات يوم وهو بالحمام أن مياه حوض الاستحمام فاضت من فوق حافته عندما تمدد بداخله وسرعان ما خطرت بباله فكرة مرادها أنه إذا وضعت قطعة من الذهب في إناء به ماء فإنها تزيح من الماء كمية أقل

من تلك التي تزيحها قطعة مماثلة من الفضة لان الفضة أخف من الذهب وهكذا أي معدن أخر وفرح أرشميدس لهذه الحقيقة ونسى معها أن يرتدي ملابسه وانطلق من الحمام إلى الشارع يعدو نحو بيته وهو يصيح هوريكا هوريكا أي (وجدتها وجدتها) ونفس الأمر حصل له وتفكيره مشغول بالحَمَل وكيفية الايقاع به صاح وجدتها وجدتها ومع اختلاف بسيط بينه وبين أرشميدس حيث لم يكن بالحمام ودون ملابس يهرول عريان للشارع كأرشميدس بل هرول إلى غرفة المراقبة والكاميرات وطلب منهم كافة تصوير الأمس حول المستشفى لاسيما التي تغطي أسفل نافذة عبيد عند الغرفة١١ وغرفة الممرضات وأخذ رجل أمن الكاميرات يستعرض بضع دقائق حتي أستقر عند منظر ليلي للمستشفى يتم التقاطه من أعمدة تنتصب عليها الكاميرات في الفناء ومواجهه للمبني أخذ يستعرض ببطء حتى شاهد ذلك الإعصار من الغبار يقترب من نافذة عبيد ويدفع بمزيد من الغبار نحو النافذة وشاهد الزجاج يتهشم وشبح انسان يتلقى تلك الصفعات من الغبار ويسقط باتجاه الغرفة، ثم لاحظ انحسار تلك الموجة من الاعصار وطلب فتح التصوير الذي يغطي منطقة نافذة الممرضات وطلب التمرير ببطء حتى كاد ينتهي التصوير دون وجود شيء ومن ثم بدأت تلك الشبورة تظهر وتكبر شيئا فشيئا وتحولت إلى إعصار أسود بدا يدور حول النافذة حتى شاهد إطارها يطير مع الزجاج ثم تنزل للأسفل

فيطيح إطار النافذة بالزجاج فوق العشب الأخضر ويعاود الصعود وتتسلل ذراته عبر النافذة مرت خمس دقائق ولم يحث شيء ثم بدأت ذرات غبار الاعصار الأسود تتسلل بهدوء كما خرجت، صعق حارس أمن الكاميرات والذي وإن كانت نوبته ابتدأت للتو فهو يدرك أن زميله كما هو يفعل أيضاً، لم يكن ليلتها يقوم بواجبه بالمراقبة واستعراض كافة الكاميرات على شاشات البلازما السوداء العريضة المنتصبة قبالته كما يجب وإنما كان مشغولاً بالكيف ومضغ القات نسخ المشاهد على فلاش الضابط الذي أمامه والذي حدجه بنظرة شك وريبه أخافته وجعلته يستشعر أهمية عمله الذي لم يأبه به يوماً أو يحترمه

إختفاء الموبايل

عاد المقدم صادق إلى غرفة الممرضات وهناك تفاجئ باختفاء الموبايل والشاحن وجز على أسنانه بقوة كيف لم يترك حارساً على الغرفة أو يأمر بإغلاقها حيث بعد أن انصرف عمال المعمل الجنائي كان بإمكان الغير الدخول وممارسة العمل طبيعي والتردد على الغرفة، لكنه بسبب توتره الناتج عن ضغط العمل أغفل ترك من يحرس الموبايل وبسؤال إحدى الممرضات التي كانت جالسه فوق السرير و يبدو عليها الوجوم والحزن على وفاة زميلتها وليس لها أي رغبة في العمل، حيث أفادت بأن أهلها آتو وتم أخذ الجثة لمستشفى الجمهوري لتشريح الجثة ومعرفة أسباب الوفاة وأخذو كافة مقتنياتها بما فيها الموبايل وأخذا منها رقم الموبايل وحاول الاتصال على رقمه لكنه كان مغلقاً، جاءت نتيجة التحقيق بوفاة صباح هبوط حاد في وظائف الجسم بسبب نقص التروية الدموية حيث تسبب نقص كمية الدم الموصول إلى الدماغ إلى الوفاة كما لاحظ شيء غريب في التحقيق ارتفاع مفاجئ للسكر ادي لغيبوبة سكرية سبقت حالة

الوفاة، وهذه لا شك تنتج عن الفجعة الشديدة وقضي يومه بين الترتيب للسفر مرة أخرى لزيارة قرية جبل الحاج ومراجعة محاضر جمع الاستدلالات والتحقيق في قضية مصرع صباح وكان قد عرج على بعض دكاترة الجامعة من معارفه من يدرسون مادة الأدب والتاريخ وسألهم بضع أسئلة لم تشفي غليله، وفي المساء كان ينظف مسدسه الروسي الماكروف ويتأكد من حشوته بالذخيرة وقاد سيارته الهونداي البيضاء وتوجه نحو مستشفى الأمراض النفسية وأول ما وصل أدى حرس أمن المستشفى التحية العسكرية واستغربوا من زيارته الغير متوقعه وتوجه أول ما وصل إلى غرفة الكاميرات حيث أتى والحارس مفترشا الأرض يمضغ القات وأمامه قارورة ماء ومشروب غازي بارد ومتكي ويعبث بالموبايل وسماعاته موصولة بآذناه ،والذي امتقع وجهه أول ما أبصره وانتصب وحيا الفندم صادق بالتحية العسكرية ورغم انه ليس مسؤول عنه إلا انه راح يبرر انه يريح نظره من التحديق المستمر ولم يدعه يكمل كلامه ،وانصرف وقد تأكد من أنه الآن سيقوم بعمله على أكمل وجه وصعد السلالم بخفة وعبر الطارود الطويل وانعطف إلى اليسار نحو الغرفة١١ وقبل أن يبلغها تناهي إلى سمعه صراخ هستيري، وراح يركض بكل ما أوتي من قوة ودفع الباب وهناك كانت الغرفة ممتلئة بذرات ذلك الغبار الاسطوري ورائحة نتنة تشبه رائحة فأرا ميت تعبق بجو الغرفة وأطل من النافذة وهناك رآه لأول

مرة في حياته على الطبيعة يجري بخطوات مهولة أقرب للقفز نحو الوادي وقد وسد عبيد فوق لوح ظهره ذو الحراشيف والنتوءات المغطاة بالشعر الخشن الكثيف ،وعبيد ممدد دون حراك وقد أطبق عليه بيداه الأربع وعبيد في غيبوبة وصوب مسدسه وأطلق دفعه من الرصاصات ولم تكن تصنع شيء أمام السرعة الخارقة للوحش، في اليوم التالي اشرقت الشمس كئيبة على مستشفى الأمراض النفسية وتم فتح تحقيق موسع عن كيفية مصرع صباح وخطف عبيد وتم الاستعانة بأشرطة كاميرا التصوير والتي كانت كلها تعمل ماعدا تلك التي تصور الغرفة١١ من الخارج لكن إحدى كاميرات المستشفى الخارجية التي تبث من أحد الاسوار المطلة على الوادي التقطت صورة حيوان ضخم أصفر اللون ولأن الاضاءة باهته وضعيفة رجح أنه حيوان النمر اليمني المفترس النادر والذي يتواجد في البيئة اليمنية البضع منه والمهدد بالانقراض، ولأنه يجيد القدرة على التسلق ويتميز بالسرعة الشديدة وفكين قويتين وان عبيد الذي كان يتظاهر بالجنون والمرض النفسي أستغل مرور تلك العاصفة من الغبار التي غطت المنطقة واربكت الممرضين والأطباء والجنود وأجبرتهم على الاحتماء في الغرف وغلق النوافذ أستغل عدم وجود أحد و تمكن من التسلل خفية واراد الهرب ونجح باجتياز أسوار المستشفى حيث الوادي الموحش حيث تكثر الهوام والأحراش والمغارات على جانبيه، وهناك هاجمه النمر وعالجه

بضربه من مخلبة وسحبه إلى أجمه قريبة من المستشفى في سفح الجبل حيث الهاوية السحيقة التي يصعب الوصول اليها، أما الفندم صادق الذي ساق نظرية الحَمَل فقد تم إعطائه إجازة أسبوع لإراحة أعصابه التي لاشك اضطربت من زيارة مستشفى الأمراض النفسية ومشاهدته للحالات المرضية وطرق العلاج وهو أمر شائع الحصول لمن يتعاملون ويجلسون مع المرضي النفسيين باستمرار ويحصل حتى للأطباء النفسيين المعالجين أنفسهم الذين تبدو عليهم بعض أعراض المرض النفسي، والراحة والبعد عن المكان وإجهاد العمل كفيلة لاستراحة الأعصاب وعودة الهدوء وراحة البال مجددا للجسم ومعاودة الاتزان وتلاشي تلك الهلوسات والاضطرابات التي جعلت ضابط ناجح ومحترم مثل المقدم صادق يجنح إلى وجود قاتل شبح ويصاب بتلك الاضطرابات ويخرج بذلك التقرير الهش والضحل الذي جعل رؤسائه يتندرون ويضحكون عليه وينصحونه بعدم الإسراف في مشاهدة أفلام الرعب والخيال العلمي التي يحبها بكثرة فالواقع غير الخيال والتمسوا له العذر بسبب العمل على القضية في مستشفى الأمراض النفسية

عودة للقرية

قرر المقدم صادق العودة للقرية وقد عزم على اللقاء بالحاج قاسم و البحث عن جحر أو عش ذلك المخلوق الغريب المتغطرس أياً كانت فصيلته وجنسه، رغبة عارمة تملكته وحلم مجنون راوده بإلقاء القبض عليه حياً أو ميتاً أوقف سيارته عند صديق له يعمل بمحطة بنزين في الراهدة حيث يتعذر السير بها في طريق جبل الحاج الوعرة والشاقة والملتوية الممتلئة بالأحجار والمطبات والحفر، حشر نفسه في سيارة لاند كروزر بنية اللون حيث كانت تغص بالركاب البسطاء ذوي الوجوه الكالحة السمراء التي لفحتها الشمس و التي كانت تفيض بالسذاجة والطيبة والبشارة ، من ينزلون من القرية إلى مدينة الراهدة كل يوم للتبضع وشراء الخضروات وكل ما يحتاجونه ويعودون رحبوا به بحفاوة وضلوا يثرثرون معه ويحلفون أن ينزل بضيافتهم كلاً يصر أن يكون ضيفه، وهو يقول لهم أنه ضيف لدي شخص ما ورفض أن يبوح لهم بطبيعة عمله ومقصده حيث كان مرتديا ملابسه المدنية كانت السيارة ترتج بقوة وصخب الركاب يعلو ومن ثم

انصرفوا عن الثرثرة معه واندمجوا في حديث جانبي عن شأن من شؤون القرية أصابه بالسأم والملل، ثم انشغل بمتابعة المدرجات الزراعية التي تقع على يمينه ومشاهدة الأشجار الخضراء العملاقة الكثيفة التي تنتصب على امتداد بصره في الجبل المقابل والمنحدر الذي شقت الطريق وسطه وقد بنت عشرات العصافير اعشاشها في فروعها المنحنية وبين اغصانها وفي الأسفل كان يشاهد الوادي الذي يسير فيه غيل ماء متدفق صافي واستطاع رؤية عدد من الصبية يسبحون في إحدى برك الوادي وهم يرتدون شورتات السباحة الملونة وكانت كلما قطعت السيارة مسافة يري الغيل العذب السائغ لازال يتدفق ويشاهد مجموعات اخري من الاطفال تقطف ثمار الدوم الصفراء والحمراء ذات الطعم السكري اللذيذ من تلك الاشجار الوارفة الظلال المتشابكة ومجموعة أخرىفي برك يلهون بالماء ويسبحون أيضا ولم يلحظ أيا من الكبار يسبح نظراً لصغر البرك التي تتسع فقط للأطفال الصغار، وكانت السعادة المرتسمة على وجوههم تشع وتبدو بوضوح واستغرب كيف لم يلحظ في زيارته السابقة للقرية ذهاباً وأياباً هذا الكم من الجمال الذي يشرح النفس ،كم كان يتمني لو يستطيع أن يوقف السيارة وينزل يشاركهم سعادتهم الغامرة تلك ويلقي بنفسه بملابسه بإحدى البرك ويظل يلهو في الماء ويقلد حركاتهم الصبيانية ويخرج ذلك الطفل الذي يغفو بين جوانحه حتى تتشبع كل روحه وكيانه

بتلك السعادة وذلك المرح والحبور، وكان مما زاد من روعة المنظر وسحره وجماله تلك الأغنية التي كانت تصدح من مسجل السيارة للفنان عبدالباسط عبسي والتي بدأت متناغمة مع المناظر الخلابة والفتانة:

نفسي الضمانة من همس الشروق

لقيتك بعد ما كادت تطفيها الحروق

ولا قت بين أحضانك مطرها والبروق لحظة منك ارتوت كل نفسي عشانك والعروق

أحبك قلتها من قلب عاشق

وفي حبك إلى الأذنين غارق

يدور في صدف بحرك معانق

بأحلام المعني لايفارق

بأحلام المعني لايفارق

يا رمان أيامي وأنسي والعنب عليك ياااااما تعب قلبي تعب

ولأجلك قد عصر روحه عصر روحه وصب

تمنيتك مع المقيال وفي السمرة

وأهداني خيالك للغني سحرا

وحاريت وقيد الشوق من جمرة

وحبيتك بضوء الصبح والغدرة

لقيتك شوق أحلامي و صبـــحي

وفي سحرك شفاء دائي وجرحـــي

كتبتـك مـن مـداد قلـبي ورمحـي وغنيتـك بأحـزاني وفرحـي وغنيتـك بأحـزاني وفرحي.....

وفي مـاهو مسـتغرق بحالـة الشـجن والنشـوة الـتي فرضـها هـذا الجـو المـنعش توقـف محـرك السـيارة عـن الهـدير، حيـث وصـلوا إلى القريـة في وقـت سـريع أو هيـئ إليـه وكـم كـان يتمـني لـو تطـول الطريـق ولا يصـل أبـدا نفـض حالـة الاسـترخاء والنشـوة عـن نفسـه وأخـذ كيسـي الخضـروات والفاكهـة والحلـوى وقاتـه بيـده وتوجـه مباشـرتاً نحـو دار الحـاج قاسـم وكـان يمشـي باسـتعجال وكـان هنـاك في داخلـه يتصـاعد قلـق خفـي لا يـدري كنهـه، وعنـد دار الحـاج قاسـم كانـت بانتظـاره مفاجئـة قاسـية حيـث وقـد تـوفي الحـاج قاسـم صـباح اليـوم فقـد لدغـه ثعبـان سـام وهـو في المقـبرة ليلـة البارحـة وتم العثـور عليـه فجـرا ملقـي قـرب قـبر الحـاج سـعيد وتم إسـعافه الي مستوصـف القريـة وهنـاك لفـظ أنفاسـه الأخـيرة وفـارق الحيـاة ولم يجـدي مـص السـم ولا إبـرة التسـمم في إنقـاذه حيـث كـان في المقـبرة مـن ليلـة البارحـة ولا أحـد يـدري مـتى خـرج حـتى أبنائـه وزوجتـه تاركـا وراءه لغـز كبـير لم يحـل بعـد ،وحسـراته علـى عـدم تصـديق النـاس لـه بوجـود أسـطورة الحَمَـل وانـه حقيقـة ويتـوارى في وكـره المتخفـي في المقـبرة بـين القبـور، بعـد السـلام و تعزيـة أهـل الحـاج قاسـم

استأذن في أن يراه ويفحص مكان أصابته كان وجهه مسود ومتورم وثقيل انفه وأذناه سدت بعطب وكان مكان العضة أسفل الرقبة يوجد ثقب صغير ويتدفق منه سائل اخضر لزج لمسه المقدم صادق وشمه بطرف سبابته كانت تلك الرائحة التي لا يخطئها أبداً رائحة جيفة إنسان ميت وهي رائحة الحَمَل التي تلتصق به وتفوح منه بسبب أكله لجثث وجيف الإنسان، أخذا صادق أبناء الحاج قاسم الثلاثة على جنب وانفرد بهم وأندمج معهم بحديث جانبي ثم صرخ الابن الكبير اسمعوا يا أبناء القرية ليس من عادتنا دفن الميت دون الاقتصاص والثأر من قاتله وأبي كان دائما يحدثنا عن الحَمَل وأنه حقيقة وليس خرافة وبيته موجود هنا في القرية بين ظهرانينا والآن من أراد أن يأتي معنا ويحب الحاج قاسم فليحضر سلاحه ومصباحه ويتبعنا أنقسم الناس بين مصدق ومشكك لكنهم في الأخير انصاعوا وقفلوا إلى بيوتهم يحضرون أسلحتهم وكشافات إضاءة قوية والذي لا يجد سلاح كان يتسلح بما تقدر عليه يداه وسار الجميع والغضب يستبد بهم نحو المقبرة وتوقفوا عند قبر الحاج سعيد وأحاطوا بالقبر المجهول أسفله من جميع الاتجاهات كانت الساعة تشير إلى تمام الحادية عشر صباحا أحضرت المعاول والمغارف وتم الحفر استمروا ربع ساعة يحفرون ولدهشتهم وذهولهم انصدموا بصخرة سوداء مفلطحة وثقيلة عجز عن تحريكها وزحزحتها خمسة من الشباب الأشداء ثم تم إحضار

سلسلة طويلة وتم الحفر حتى تم إدراجها تحت الصخرة وهناك بدا الثوران السمينان الضخمان اللذان احضروهما وتم شد السلاسل الي رقبتيهما ابتدأ في السحب ويعاونهم عدد من الشباب حتى بدأت الصخرة تتراجع عن قرارها في المكوث بمكانها وبدأت تتزحزح أخيرا بعد عناء وجهد وتم إبعادها عن فوهة القبر المجهول، وكم كانت مفاجئة قاسية لهم وذهول وهم يشاهدون فتحة دائرية أشبه بالبئر تتدلي للأسفل كأنه مدخل قبو أو سرداب لفحتهم الرطوبة المتصاعدة من الأسفل المصحوبة برائحة عطنة كريهة كادت تجعلهم يتقيؤون ويصابون بالإغماء ،فراحوا يرخون شماغات الرأس ويلفونها على أنوفهم احضروا سلماً خشبياً طويلاً دلوه في القبو الذي كانت قطر فتحته عريضة تسمح بمرور جملاً ضخم وبدأوا بالنزول بتؤدة وأصابعهم الباردة متحفزة فوق رشاشاتهم الآلية وبوضع الإطلاق ونزل شابان مسلحان وبيدهما كشافان قويان وخلفهما آخران كانت أقدامهم تتعرق بغزارة وقلوبهم الواجفة التي تكاد تذوب تشي بالخوف كان الظلام حالك في الأسفل ولفحهم هواء حار عطن وثقيل استغربوا من أين يهب من الأسفل كان خامس الذين نزلوا الفندم صادق الذي ربط فوق جبهة مصباح يدوي من الذي تستخدمه القوات الخاصة بمكافحة الإرهاب ويده الأخرى قابضة على سلاحه الميري وبالأخرى يتشبث بالسلم المتهرئ الذي كان يصدر صريراً مزعجاً وهو يطأ بقدميه

وصل الخمسة إلى أرضية السرداب وطواهم ليل طويل بظلامه الحالك المخيف لكن سرعان ما بدد الضوء العتمة في الأسفل وبدأت عيونهم تالف الظلام أصيبوا بحالة عنيفة من الذهول والدهشة والاحساس المبهر الذي أجتاحهم فمهما سرح وشطط بهم خيالهم لا يمكن أن يتصوروا تلك المفاجئة التي وجدوها بل الفجيعة بالأصح فلم يكن جموح خيالهم أن يتصور ذلك المنظر إطلاقا وأطلق شابان صيحة عالية ترددت في السرداب كصوت صفارات الإنذار الصاخبة التي تركب في المصانع والمنشآت الحيوية ويشتم متحسسها الدقيق رائحة دخان أو نذر حريق فيخترق طبلات الأذن بذلك الصوت الصاعق والذي جعل كل من في الأعلى يرتجفون ويتحفزون للنزول والتدافع نحو فوهة القبو وهم مرعوبين

ما جرى لقاسم

كان الحاج قاسم قد بلغه خبر خطف عبيد من مستشفى الأمراض النفسية على يد بل أيادي الحَمَل فأراد أن يتأكد من فكرة راودته وكانت تؤرقه وتشغل باله كثيراً وهي ان الحَمَل لا يأكل ويأخذ إلا من برجهم الحَمَل ويوم الحادث خطف حاميم وترك عبيد فقام بعملية حسابية يتم بها معرفة برج الشخص عن طريق جمع أحرف اسمه و أحرف اسم أمه وتوزيع قيم الأحرف الأبجدية بطريقة أبجد هوز حطي كلمن وليس بتسلسل الحروف العادي ثم طرحها من عدد الاشهر ليطلع لك اسم البرج حيث كل حرف له قيمة عددية معينة فلماذا قتل حاميم وترك عبيد أكيد حاميم ابن نون من برج الحَمَل وعبيد أبن لول ليس كذلك أحضر قلما وورقة وبدأ بالتدوين

وابتداء بحاميم

ح٨

١١

م٤

ي١٠

م٤

المجموع=٢٧-٢٤=٣

ن٢

و٦

ن٢

المجموع=١٠

الناتج٣+١٠=١٣-١٢=١

واحد يعني الحَمَل وبدا قلبه يدق وجسمه يتعرق وسرت بجسمه رعشة باردة لولا أن تذكر أن برجه الميزان ولأن برجه الميزان رمز العدل يجب أن يصل لهذا الوحش ويثأر لكل الذين قتلهم ومن ثم بدأ يحسب برج عبيد ابن الحاجة لول

ع١٠

ب٢

ي١٠

د٤

المجموع٢٦-٢٤=٢

ل٦

و٦

ل٦

المجموع١٨-١٢=٦

جمع الناتج٢+٦+=٨

أي أن عبيد نجمه العقرب، والحَمَل لن يأكله لأن برجه ليس الحَمَل لابد أن هناك سر في الامر أم أن الحمل قد بدأ يشذ على سلوكه وقواعده وطبيعته المقيتة البشعة في اصطياد ضحايا من برج الحَمَل ليتوسع لأبراج أخرى لاسيما والموتى قليل في قريتنا من كل الأبراج وهو لا يستطيع التنقل بين عدة مقابر وهو حيوان ليلي حيث الكهرباء تنير كافة المدن والقرى وتحاصر تنقلاته حيث لا قوة له على مواجهة النور ويضعف أمامه نعم لابد من ان يكشف السر، وفي ما كان الحاج قاسم يجري عملياته الحسابية تلك لاحتساب الابراج كان الليل قد شرع ينشر رداءه الاسوَد الفضفاض وانتظر حتى الساعة الثامنة والنصف مساء ،وهنا كان الحاج قاسم يحمل بندقيته الجرمل القديمة ويغذ السير نحو المقبرة التي وصلها سريعا نتيجة السير بخفة وسرعة وقف يقرأ الفاتحة فوق قبر الحاج سعيد ثم نزل إلى جوار

القبر المجهول اخذا يحوم حوله ويتفحصه ومن ثم زحف نحو الشجرة العجوز التي تطل قبر الحاج سعيد والتي قبع تحتها قبل خمسين عاماً وراح يراقب القبر المجهول ويفحص المقبرة بعينيه ويرسل ضوء مصباحه اليدوي القوي في اتجاه شواهد قبور الموتى وبين الاشجار وكل مكان يتوقع ان يجد فيه الحَمَل اللعين كان يشعر أن هناك من يراقبه ذلك الشعور الخفي الذي ينتابنا عندما نكون لحالنا في المنزل ونشعر بشخص غريب يتلصص علينا من النافذة قنبادر إلى رد شيش الزجاج وإزاحة الستارة زاد من مخاوفه تلك الرائحة النتنة التي ساقتها نسمات الليل إليه والتي لا تخطئها انفه ويعرف رائحة أي وغدا هي، تحفزت اعصابه وتوتر وهو يفتح امان البندقية ويرسل اشعته حول المقبر ويتلفت يميناً وشمالاً وأمامه وحتى خلفه لكن لم يجد شيء كان يحس بوجوده ويدرك اقترابه دون أن يظفر به وعاود الاستناد إلى جذع الشجرة وتناهي إلى سمعه أنه يسمع ذلك الفحيح جيدا الذي يشبه صوت وسواس الذهب وبدأ شعر رأسه الفضي اللامع ينتصب وفرائصه ترتعد فانتصب واقفاً وضم قبضة يده اليمنى ورح يضرب صدره لوقف تلك الارتجافة لفرائصه ثم بدأت القشعريرة الباردة تسري بجسمه كمن تذكر شيئاً ورفع نظره ببطء إلى أعلى الشجرة ويا للهول كان على بعد مترين فقط منه ينتصب بقوائمه الأربع ويداه الأربع مفروده كأنه طائرة شراعية وكان يتفرس به بعينيه المغناطيسيتين القبيحتين اللتان تتطايران شررا وحقدا وكرهاً، فحاول أن يبدو متماسكاً قدر الإمكان وحاولت يداه اليابستان اللتان شلتاهما مفاجأة وجود

الوحش أن ترتفعان وتطلقا النار وكاد ينجح لولا تلك الإبرة الصلبة الباردة التي شعر بها تنغرس اسفل عنقه وشعر بأطرافه تبرد وأنفاسه تضيق وقدماه تثقل وذلك الخدار الذي يسري بأوصاله وخر مغشياً عليه، شعر بدنو أجله، وكم ندم لخروجه هذه الليلة وتمنى شيئاً واحداً فقط ان يتحقق له ثم يموت وهو رؤية ابنائه الثلاثة وأبنتيه وأحفاده لاسيما ابنته الكبرى المتزوجة في العاصمة صنعاء والتي لم يراها منذ عام ويشتاق اليها كثيراً كم تمنى أن يحضن أبناءه وبناته وأحفاده ويقبل رؤوسهم ،ثم يموت بدأ نبضه يضعف وأنفاسه تضيق ثم راح في غيبوبة، أستغرب ابن الحاج قاسم الكبير عدم إيقاظ أباه له ولأحفاده لصلاة الفجر لعلها راحت عليه نومه لكنه لم يجده في فراشه وعندما وجد باب الدار مفتوح من الداخل وموارب أيقن انه قد سبقهم للمسجد ولكنها أول مرة يعملها حيث لا يخرج إلا بهم أخبر الابن الاكبر اخوته وانطلقوا صوب المسجد، وعندما وصلوا وشاهدوا تجمعا وجلبة عند الشجرة العجوز الضخمة انقبضت صدورهم وتوجسوا شراً وصدق حدسهم، كان احدهم يوسد الحاج قاسم إلى كتفه ويبلل شفتاه المجفرتان اللتان ترتجفان ببعض الماء ورفع الحاج قاسم سبابته بصعوبة وجبينه يرشح عرقاً وأشار إلى قبر الحاج سعيد وراح في غيبوبة طويلة ونبضات قلبه تضعف أكثر وأكثر

العثور على حاميم

لم تكن تلك الصرخة المدوية بفعل الخوف فقط بل الدهشة الشديدة التي صنعها جو المكان حيث لم يكن ما شاهدوه هو قبر عادي فقد كان مازال سائد اعتقاد لدى البعض بان ما يجري هو لحظة حزن وغضب لمصرع الحاج قاسم ولن يفضي نبش القبر المجهول إلى أي شيء لا بيت للوحش ولا وكر فلم يكن ذلك اللحد الذي نبش كما كانوا يتوقعون أو غرفة مدافن موتى أو حتى ضريح أو حفرة تفضي لمغارة يأوي إليها الوحش، كان شيء يبعث على الدهشة والانبهار والذهول أشبه بخربة أثرية أو كوخ بدائي لإنسان هندي فقير هذا كان في الردهة الصغيرة التي نفذوا إليها، يستحيل أن يكون هذا من فعل حيوان مستذئب أو وحش مفترس كان ما يميز السرداب عن منازلهم وبيوتهم هو الأثاث المنزلي فقط ومن ثم تقدموا نحو الأمام وبدا الآخرون يتدفقون من الأعلى نحو السرداب في حين التفت المقدم صادق مخاطبا احد الشباب اذهب واحضر اكبر عدد من أنابيب الماء الصلبة طويلة وذات فتحة عريضة ليسمح بتدفق الهواء النقي من الخارج إلى داخل القبو كانت هناك طاولات حجرية وسلاسل معلقة بسقف القبو

وحوض حجري كبير شبيه بالبرك التي تنتشر في وديان القرية وسكاكين بدائية عريضة بنصل أملس حاد ورائحة كريه تزكم الأنوف ودماء متجلطة ويابسة ولفت نظرهم انتهاء القبو ببابين ،خشبيين كبيرين وعتيقين مغلقين وكلاً منهم ينتهي بعروة حديدية دائرية وثقيلة تقدم احدهم محاولا سحب عروة احد الأبواب دون أن يتمكن من زحزحته قيد أنملة فتعاون معه ثلاثة آخرون وبصعوبة بدأ الباب يتحرك وهو يصدر صريراً مزعجاً تردد صداه في القبو وصم آذانهم أنضم المزيد لسحب الباب حتى أنفتح وهبت منه ريحاً باردة مشبعة برائحة عطنة خانقة تثير الغثيان كان الباب يفضي إلى بهو عريض وواسع جدا مترامي الأطراف أشبه بساحة عروض عسكرية ضخمة ومع تبديد المصابيح اليدوية والغازية للظلام ابتدأت الرؤية توضح أكثر وهناك كانت تمتد مئات المناضد والمصبات الحجرية العريضة وقد تناثرت فوقها أشلاء بشرية مقطعة بوحشية وأثار دماء سوداء وحمراء قانية ومتخثرة تصبغها وكان البهو أشبه بالمسلخ من أكوام الجثث الممزقة والمصلوبة والمسحولة وبدأ المكان أكثر رعباً ووحشة وقسوة كانوا بين مصدق ومستغرب ومنهم من ضن انه يحلم ولم يبدي استغراب وسيفيق من الحلم لاشك ليجد كل هذا لا أساس ولا وجود له كانوا بحالة من الخوف والقلق المصحوب بالغثيان والاشمئزاز وكانوا كلما سمعوا حركة شخصاً ينضم لهم وهو ينزل من الأعلى ويستشفون نزوله من درجات السلم الخشبي المتداعي وهي تئن تحت وطأة أقدامهم ،فتتحفز أصابعهم على الزناد ويزداد قلقهم ، صرخ الشيخ أنظروا هناك

وأشار بمصباحه اليدوي إلي إحدى الطاولات الحجرية كانت هناك بقايا جثة متحللة بقى رأسها بشعر طويل منكوش مخضب بالدماء عرف كل أبناء القرية فيها رأس حاميم ابن عبدالجبار الذي اختطفه الحَمَل قبل بضع أسابيع ،تقيأ أحد الشباب وهو يشاهد تلك الرأس المقطوعة ومن ثم استمروا بالتنقل من منضدة إلى أخرى ومن لوح حجري لآخر ومن مصطبة إلى أخرى حتى عثروا كذلك على جثة متفسخة عرفوا من ملابسها ووجهها الذي لم يتغير كثير عبيد النباش الذي قضي على يد النباش هو الآخر مقتولا لكن دون آن يلتهمه أو يمزقه الوحش فقط ذلك النكز الذي أسفل رقبته كذلك الذي رأوه برقبة الحاج قاسم، وهو بملابسه الممزقة والمتسخة وقد تمزقت تبعه آخران بالتقيؤ حتى شعروا بأنهم سيلفظون معييهم ولم يوقف ذلك القي إلا إخراجهم من السرداب إلى المقبرة ليشتموا الهواء النقي وصل خبر القبو الأسطوري إلى كافة أبناء القرية وتدفقوا بالمصابيح والكشافات الغازية والسلاح واحضر البعض أسلاك كهربائية طويلة جدا تنتهي بمصابيح لبنية صفراء قوية تم ربطها من كهرباء المسجد وتدفقت الإنارة إلى أسفل القبو لتبدد وحشة الظلمة كانوا كلما اوغلوا في السرداب يزداد بعدا ويبدو انه كالدائرة لانهاية له، وفي ما الشباب منهمكون بتجميع أوصال عبيد وحاميم وصل أخيرا ذلك الكفن الأبيض مع الأكياس البلاستيكية السوداء، فتم وضع أشلاء حاميم وجثة عبيد كلاً منهما على حدة بكيس اسود سميك ثم لفها بالكفن وتم اخرجها إلى أعلى المقبرة وتم فرض حراسة شديدة عليهما، وعبثا حاولوا الوصول إلى جثة

جحبور وولده لكنها ربما هناك ضمن أكوام الجثث المتراكمة والمتحللة والعظام المبعثرة هنا وهناك ولا أحد يدري فخمسين عاماً مضت لن تعرف بها لا جحبور ولا غيره، راح فريق آخر من القادمين الجدد يسحب العروة الثانية للباب الخشبي الكبير وكم كانت مفاجئة لهم أن يجدو الحَمَل الذي أعياهم اقتفاء أثره ودوخ بهم وكانوا حتى هنيات قلائل لا يجزمون بوجوده ولا يؤمنوا بحقيقة أسطورته كان يغط في نوماً عميق إذا كان حيوانا ليلي خالص تمام كالبوم والخفافيش يجول الليل يختبئ النهار، انفتحت الباب الآخر بسهولة ولم يكن كسابقه ولدهشتهم بالرغم من تساوي البابان طولا وعرضا وشكلا إلا أن الغرفة الأخرى بدت متناقضة تماما من مثيلتها حيث لم تكن بالحجم الذي توقعوه كانت فقط عبارة عن فجوة عريضة مستطيلة الشكل بعمق خمسة أمتار في الجدار وارتفاع مترين وطول أربعة أمتار كانت كأنها دولاب أو فتحة بالجدار مقسمة إلى عدة رفوف وكل رف فرش به نطع كبير مخيط ومواصل من جلد الماعز وكان الوحش ينام بالرف الأول ويبدو أن الرفوف الأربعة الأخرى فراش للنوم لعائلته التي لا احد يدري ما مصيرها، كان الوحش مكسو بالشعر الأسود الخشن له أربع أرجل تنتهي بظلفين كإصبعي نعام أو خفي جمل وله أربع أيدي لولبية غليظة ويكسوه شعر وحراشف وتنتهي بمقارض خضراء صلبة و حادة تحمد تحتها الدم وبقايا أشلاء، أما مكان جهازه التناسلي لم يعرف إن كان ذكر أو أنثى حيث كان تغطيه ستارة كثيفة من الشعر الأسود والرمادي وكانت عيناه الجهنميتان الخضراوان اللتان بدأت كأتون لهب

اخضر وبدتا بدون أجفان كعيني سمكة تونة ضخمة مغمضتان ويغطيهما غشاء رقيق يسدله عليهما عند نومه وكان فمه المشروم يكشف عن أسنان وأنياب كبيرة من طابقين طول الناب الواحد يقدر بحجم إصبع طفل كبير وكانت أذناه اللتان تشبهان إذني بعير منكمشتان على نفسيهما تبين منها أنه يكتم وصول الضوضاء حتى ينعم بنوم هادي ، فجأة بدأ الغشاءان الرقيقان يتحركان ويهتزان ثم انسحبا للأعلى بطريقة أليه سلسة وبدأت العينان الخضراوان تأزران وتصدران تكه بسيطة وتدوران كجهاز الكمبيوتر بعد تشغيله مباشرةً عندما يظهر تلك الدائرة الصغيرة لوضعية الانتظار ثم يقلع وأقلعت العينان بوهج اخضر مشع وحصل ارتباك وهرج ومرج والتقطت قرنيتاه تلك الوجوه المحيطة به وأطلق صرخة شيطانية ارتج لها السرداب الأسطوري وكادت تخلع قلوبهم من مكانها وألقت الذعر في نفوسهم لولا أن الفندم صادق دعاهم لتسليط كافة المصابيح اليدوية إلى قرنيتاه حيث يضعفه الضوء ويشتت تفكيره لأنه حيوان ذكي يستطيع التفكير ومواجهة الموقف واتبع كلامه بزخات من الرصاص جعلته يزأر كالأسد، ويصدر ذلك الصليل الذي يشبه وسواس الذهب ويتبعه بصرخة مجلجلة ومن ثم فتح الجميع أزرار الأمان وأمطروه برصاصاتهم وهو يتخبط بدمائه الخضراء اللزجة الداكنة والغليظة، عندها أمرهم الشيخ بالتوقف واقترب يصب من صفيحة بيده البنزين على الجسد المثخن بالدماء الخضراء الدبقة وأشعل قداحته البيضاء العاجية ذات الغطاء المرفوع ورفع زر اللهب فيها وألقاها نحو تلك الكتلة المتخبطة التي تجاهد وتتمسك بأسباب

الحياة فارتفع أور النار الذي دفعهم للتراجع وفي الغرفة اللامتناهية كانوا قد دفعوا بمزيد من الحطب وجذوع الأشجار وصبوا البنزين وأعادوا إغلاق الباب تحسبا لوجود أي مخلوقات أخرى أو جراء صغيرة للوحش وصعدوا من القبو الذي كان قد حشي بأعداد هائلة من الحطب والأخشاب، وصبوا البنزين وأشعلوا النيران وانسحبوا وبدأ أور النار وألسنتها القانية تزفر وتنفث حممها بقوة حتى صار أخدوداً وأتون ملتهب وأعادوا الصخرة لمكانها وصبوا خلاطات من الاسمنت وعند انتهائهم كانوا قد قضوا بقية النهار، والليل بطوله وكان الخيط الأبيض للفجر يرتسم بالأفق ومسجد الحاج مُحَمَّد يصدح بصوت الحق

الخاتمة

١١فبراير ٢٠١١م مساء الجمعة كان قد مر أسبوعان منذ مصرع الحَمَل وليلة الأخدود وقيدت قضايا مصرع عبيد وحاميم على أنها اعتداء حيوان مفترس، وأعلنت السلطات المحلية قرية جبل الحاج الجميلة ذات التنوع البيئي والجغرافي محمية طبيعية وفي ما كانت أنظار العالم مسمرة على شاشات التلفاز تتابع القنوات الفضائية وهي تبث كلمة عمرو سليمان نائب الرئيس المصري وهو يطل بصورة متجهمة يتلو قرار تنحي الرئيس مُحَمَّد حسني مبارك رئيس الجمهورية العربية المصرية بعد ثورة شعبية عارمة انطلقت في٢٥ يناير أطاحت بحكمه البوليسي الديكتاتوري القمعي وكانت الشوارع العربية تموج وتغلي بأمواج البشر وخرج مارد الثورة من القمقم وتمكن الشباب العربي لأول مرة منذ نصف قرن من كسر حاجز الخوف الذي انتقل من قلوب المواطنين ليسكن بأفئدة الحكام العرب الطغاة المستبدين الخائفين على زوال عروش ملكهم في تلك الليلة الشتوية الباردة وفوق سقف مدينة الموتى التي تم إحراقها بالكامل وبداخلها مئات الهياكل العظمية والموميياءات والجثث المتفسخة والمتحللة تعود لمئات

السنين ومنها قريبة ولا أحد يعرف كم مضى عليها ،وكانت المفاجأة الكبرى العثور على بقايا جثتي عبيد وحاميم اللتان دفنتا جوار بعض جنب قبري الحاج سعيد والحاج قاسم وصلى عليهما كل أبناء القرية كان الحَمَل آخر سلالة الحيوانات المستذئبة المتوحشة آكلة الإنسان التي انقرضت منذ زمن و ظل سائداً ومعتقداً ردحاً من الزمن أنها مجرد أسطورة تتناقلها الأجيال وقصص تحكى من الفلكلور رسمتها مخيلة الأجداد تعكس ثقافة وحضارة ذلك الزمن الغابر وتعكس صداها للحاضر وستمضي عبر الزمن كنهر خالد يتدفق فيستقر في كل جيل ملونة ذكرياتنا وأحلامنا وخيالاتنا بتلك الحكايات التي تعبر وتذروها الأيام ولا يتبقى منها إلا صدى كلمات وزمنها الجميل ولتضاف إليها قصة أخرى هي الأخرى ستمضي وستفوح منها رائحة التاريخ يوما ما ستصير أسطورة وكم من حقيقة امتزجت بالأسطورة وستحكي قصة وحش مدينة الموتى الذي ظل يعيش بسبب بناء عشه فوق مقبرة يتزود منها بطعامه باستمرار وفي دراسة رجحها الدكتور عبدالتواب الفقش أستاذ علم الأحياء بجامعة تعز رجح أن خرق الحَمَل لقانون سلالته بالاعتداء وتناول جثث حملت برج غير الحَمَل وبناء مدينته تحت مقبرة هو من مكنه العيش هذه المدة في حين انقرضت سلالته بمرور الزمن وبفعل التطور الحضاري والعلمي ورجح الأربع الأسرة الأخرى كونه حيواناً متطوراً اجتماعيا وشديد الذكاء

والشبه بالإنسان لديه غريزة الحنان والعاطفة، ليشعر أنه مع أسرته وتلك غزيرة متأصلة في الإنسان والحيوانات الذكية فالإنسان اجتماعي بطبعه وكذلك بعض الحيوانات

* ١٩٧٥عن عمر ناهز ٥٤عاماً، توفي ويندل فيليبس الذي قرر في سن العاشرة أنه يريد أن يكون مستشكفاً، وأكتشف الحضارة القتبانية ومعبد القمر إلمقه بكل غموضهم وأسرارهم

*عام ١٩٩٦ ظهر في مصر حيوان هجين يطلق عليه سلعوة يعتقد بأنه آخر سلالة الحَمَل ليصبح حديث مصر بعد أن أثار الرعب في قرية أرمنت بأقصى صعيد مصر ثم تمت بعض الهجمات في المحافظات القريبة من القاهرة والإسكندرية، وانتشر الرعب في جميع أنحاء مصر وسط نصائح الأهالي بعدم النزول ليلاً وأخذ الحذر دائماً خصوصاً في القرى والمدن المحيطة بقرية أرمنت التي كان بها أول ظهور له وقتل الأطفال والكبار وأصاب العشرات وتحققت أحد الأساطير المصرية القديمة، وانتهى هذا الرعب الذي انتشر في مصر كلها آنذاك بقتل السلطات وبعض الأهالي لحيوان السلعوة

*١٩٩٨م واصلت مريلين فيليبس هودجسون شقيقة المستكشف الأمريكي وينـدل فيليبس البحث والتنقيب في مأرب بدعوة من السلطات اليمنية إلا أنها علقت بسبب تهديدات إرهابية في المنطقة، ولم تستطيع تنفيذ وصية أخوها بالبحث عن سر الحَمَل بعد أن كاد يعثر على سره في صحراء مأرب وأعاق جهده القاضي زيد عنان والي مأرب حينها بإيعاز من الإمام أحمد يحي حميد الدين

* أكتوبر٢٠١٤م أقيم معرض للآثار في واشنطن لاكتشافات وينـدل فيليبس الذي كان في الخامسة والعشرين من عمره عندما توجه إلى شبه الجزيرة العربية في الخمسينات، بحثاً عن "ملكة سبأ الأسطورية".ويرمز تمثال نصفي من المرمر لامرأة شابة صاحبة بسمة لطيفة وتمثالا لأسدين في متحف الفنون الأسيوية "فرير-ساكلير"في مؤسسة"سميثسونيان"، إلى رحلة الرجل الشاب الذي انطلق بحثاً عن حضارة تعود إلى ٢٥٠٠ سنة ولم يكن عالم أثار محترفاً، لكنه كان شغوفاً وصاحب طاقة كبيرة وهمة تنطح السحاب وإرادة فولاذية وفي المعرض الذي أستمر حتى نهاية حزيران (يونيو) ٢٠١٥، دفاتر ملاحظات وصور بالأبيض والأسود وأفلام توثق ذكريات الرحلة والتمثال الذي هو كناية عن تمثال الحَمَل الذي يشبهه كثيراً ووجد في مقبرة حيد بن عقيل لنفس المرأة والتي يقال أن وينـدل

فيليبس قد هربه واحتفظ به لنفسه ولأسرته وظل مبهور ويحلم بالتنقيب في صحراء مأرب حيث دلت بقية الكشوفات والنقوش على أن الحَمَل قد وجد في مأرب أيضا وهناك تكملة بقية القصة التي لم يستطع إكمالها البروفسور البرايت.

تـــــمت بـــــحمد اللـــــــــــه

Email: rostom113@gmail.com

فيسبوك :رستم عبد الله.